شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني
هل علي باس ان انتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتعاونان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم
المتسابان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم سباب المومن فسوق وقتاله
كفر وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا
يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب رجلا فيسب الآخر اباه. **الآفة الثامنة اللعن** اما لحيوان
او لجماد او لانسان وذلك مذموم قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا
تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران
بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت
منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي
في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشة
قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين
وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلعم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وكان
ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده
من الله وهي الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان
في اللعنة خطرا لانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا
اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلث مراتب
الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف
اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى
الزناة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك جايز وفي لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ما لم
يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس
وفسادا والثالث اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع
والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنه شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه
ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي

مثلا فهذا فيه خطر لانه ربما اسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت فيلعن لكونه كافرا في
الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان متصورا ان يرتد فاعلم ان قولنا رحمه الله معناه اي
ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب
اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله
ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر
واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق وزيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب
على الاعيان الا من رسول الله فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر فلذلك كان عين قوما باللعن فقال اللهم عليك
بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه
فنهي عنه اذ روي عنه انه كان يلعن الذين قتلوا اصحابه ببئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم يعني انه ربما يتوبون فمن اين يعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته
على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن
العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد فقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي
قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر
فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء فكف الناس
عن ذلك وشرب نعيمان الخمر وحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر
ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله
فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة الفاسق بعينه غير جائزة وعلى الجملة في لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا
خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل حسين او امر به قلنا
هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به اذ لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة
من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا
فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق
الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان
كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن
انه كافر ببدعة او غيره كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما

او بعضوا اما ما عاد لاو التعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت علي عايشة فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت
توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الي
ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتوذوا الاحياء وقال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري
ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله
او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت
بعد التوبة ووحشي قاتل حمزة عم رسول الله قتله وهو كافر فتاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن
والقتل كبيرة فلا ينتهي الي رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر
فهو اولي وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان باللعنة فلا يجوز اللعنة الا علي من مات
علي الكفر او علي الاجناس المعرفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولي فان لم يكن
ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقطعون فيه
وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان يخرجان من صحيفتي
يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعن الله وقال
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الي
الله كل لعان وقال بعضهم لعن المومن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان روي هذا ولو قلت انه مرفوع
لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مومنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعا علي الانسان بالشر حتي الدعا علي الظالم كقول الانسان
لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله امثال ذلك فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو علي الظالم حتي يكافيه
ثم يبقي للظالم عنده فضله يوم القيمة الآفة التاسعة الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع
ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سيل عن بيت
من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انما اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسيل بعضهم عن شي من الشعر
فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلي الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن
فيه كلام يكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيه وقد يدخلها
الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجا الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه يلتحق
في التحريم بالكذب كقول الشاعر شعر ولو لم يكن في كفه غير نفسه ¤ لجاد بها فليتق الله سايله ¤ فان هذه

عبارة عن الوصف بنهاية السخا. فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صيغة
الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته. وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار لو شرع لو حد
فيه مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عايشه رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت
اغزل قالت فنظرت الي رسول الله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فنظر الي فقال ما لك
بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي
لعلم انك بشعره قال وما يقول يا عايشه ابو كبير الهذلي فقالت يقول شعر

ومبرا من كل غبر حيضة . وفساد مرضعة وداء مغيل . واذا نظرت الى اسرة وجهه . برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله
يا عايشه خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنايم امر العباس بن مرداس السلمي باربع قلايص
فانبعث يشكوا في شعره وهو في آخره شعر وما كان بدر ولا حابس . يسودان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما . ومن يضع اليوم لا يرفع . فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به
ابو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل
ثم تقرضني كما تقرض النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب
الشعر حتى تدع الابل الحنين الآفة العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدر يسير مستثنا
منه قال صلى الله عليه وسلم لا تمازح اخاك ولا تماره فان قلة المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق
او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة فان قلت فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط
فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم
واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال
ويسقط المهابة والوقار فما يخلوا عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره اذا فتح باب المزاح
كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك
بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف
به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه
ومن قل ورعه مات قلبه لان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون

ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا فقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل
اتاك انك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رأي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام
الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون
في يوم عيد الفطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هو فعل الخائفين
وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول لنفسه اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصارة وقال ابن
عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت في الجنة رجلا
يبكي الست تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه
فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع
الصوت لذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلم
على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل اصحاب النبي يضحكون
منه ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك
قال نعم وافواهكم ملوءة من دمه واما اداؤه المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر من مزح استخف به
وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح مع الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني
لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم
والمزاحة فانها تورث الضغينة وتجر القبيحة وتحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن
من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم يسمى المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح
عن الحق ويقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة البهاء ومقطعة الاصدقاء فان
قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله واصحابه فكيف نهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ان يمزح ولا يقول الا حقا ولا يؤذي قلبا ولا يفرط فيه ويقتصر عليه احيانا وعلى الندور
فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفته ويواظب عليه ويفرط فيه ثم
يتمسك بفعل رسول الله وهو كمن تدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله اذن لعائشة
ان ينظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطاء اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما تصير
بالاصرار صغيرة فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال
اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه كسا ذات يوم امرأة من

نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واجتهدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروي انس ان رسول الله صلعم
كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها لا
يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يوميذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
وروي زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال
ومن هو اهو الرجل الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا
والله ما بعينه بياض فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت
امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحملك على ابن البعير فقالت ما
اصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن البعير وكان يمزح به وقال انس كان لابي
طلحة ابن يقال له ابو عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير
كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عايشه رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
بدر فقال صلى الله عليه وسلم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا
فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاءنا يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء
فقال اعطنيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت عايشة سبقني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عايشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسودة فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لالطخن
وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت من الصحفة شيا فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه ليستقيد مني فتناولت من الصحفة
شيا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي
كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له عندي امراتان احسن من هذه الحميرا
افلا انزل لك عن احديهما فتزوجها وعايشه جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهما احسن
ام انت فقال لا بل انا احسن منهما واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة عايشه اياه لانه
كان دميما وروي علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي
عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج
وجهه وما قبلته قط قال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم واكثر هذه المطايبات منقولة مع النسا
والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهن من غير ميل الى هزل وقال

صلى الله عليه وسلم لصهيب وبه رمد وهو يأكل التمر أتأكل التمر وأنت رمد قال إنما أكل بالشق الآخر فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة
من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة قال
يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك
ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك انفرد منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت
المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني
انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت فقام فكنت انفرد
منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد
بعد قال فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال
فحسن سلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلعم
فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة عسل ولا
طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالب
نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله
صلعم اولم تهده فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي والله ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها
هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء** وهو محرم مهما
كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة
والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون
بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها
حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله عز
وجل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن
والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن
زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم
مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه

وعمه فاذا اتاه اغلق دونه فما زال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ
بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع
الي استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله عز وجل عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا
تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به واما من جعل نفسه مسخرة
وفرح من ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم استصغار
يتاذى به المستهزء به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك يجري بان يضحك علي كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم
او علي افعاله اذا كان مشوشا كالضحك علي خطه وعلي صنعته او علي صورته وخلقته اذا كان قصيرا
او ناقصا بعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها الآفة الثانية عشر
افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلعم
اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من
الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معوية اسر الي الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابة ان
امير المومنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الي غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم
سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابة وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابيه
قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر وانت حديث السن قال فاتيت معوية
فحدثته فقال يا وليد اعتقك ابوك من رق الخطاء وافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه
اضرار ولوم وان لم يكن فيه اضرار فقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده
الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب فان اللسان يسبق الي الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير
الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلعم
العدة عطية وقال الواى مثل الدين او افضل والواي الوعد وقد اثنى الله عز وجل علي نبيه اسمعيل
فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فيقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين
وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش
وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن
عبد الله بن ابي الخنسا قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت
يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى ما اشفقت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك
وقيل لابرهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت

الصلاة حتى يجي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا
الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر
فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا اؤتمن خان قال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كان
فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر
واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر واما من عزم على
الوفاء او عن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان
يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى
اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه شيا وهي تقول الا ترى اثر الرحا يا رسول الله
في يدي فذكر موعده لابي الهيثم فاثر به على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها
الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين فوقف عليه
رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شيت فقال احتكم
ثمانين ضاينة وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى
التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابا
وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اقنع من صاحب الثمانين
والراعي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد
الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين
وهو من قبايح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه
يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا
عام اول ثم بكا فقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية
والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلم كبرت خيانة
ان تحدث اخاك حديثا وهو لك مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال

الكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان
شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر
بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص
الرزق وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم
يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر
اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف
بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلعم
ثلثة يحبهم الله عز وجل رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل كان
له جار فاسق يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهم موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية
فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشناهم
الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث
فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه
فاذا انا برجلين احدهما قايم والآخر جالس بيد القايم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه
حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني
ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال رسول الله صلعم
فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن فقال لا ثم اتبعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون الآية قال ابو سعيد سمعت رسول الله صلعم
يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة
لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر وقال عبد الله بن
عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال
اعطيك فقال صلعم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة
وقال صلى الله عليه وسلم لو افاء الله علي نعما عدد هذه الحصا لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا
جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكيا الا انبيكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد
فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه
مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي ستا اتقبل لكم الجنة

قالوا وما هي قال اذا احدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخون وغضوا ابصاركم
وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما العوق
فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب بالجابية فقال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين
ولم يحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين
وقال من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال
امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل
في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب قالت
عايشه رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منها توبة
وقال موسى يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن اياك
والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق اربع
من كن فيه فلا يضره ما فاته من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال
ابو بكر الصديق في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقامي هذا عام اول ثم بكا فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال النبي صلى الله
عليه وسلم لي اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وبذل السلام وخفض الجناح واما
الآثار قال علي عليه السلم اعظم الخطايا عند الله تعالى اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة
وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم
احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم
امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا اكتبه زينت الكتاب وكنت
قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني
اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا
قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان
صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق

والكذب يغير كان في المدح حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شي فقال له كذبت فقال
عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس
حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب وعلى غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشي على خلاف
ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب لتحصيل ذلك
الجهل يكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا
سعا واخر وراءه بالسيف فدخل داره فانتهى اليك وقال رايت فلانا ما كنت قايلا الست تقول لم اره
وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل
اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه
مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم
واجب فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم
مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه لا يتم الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان
يحترز منه ما يمكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة
فكان الكذب حراما في الاصل الا بضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح
والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نما خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله
صلعم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال
وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصادما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان
فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت
بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك
وروي ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه يخلع النساء اللاتي يتزوج فطارت له في النساء
من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك فاخذ بيد عبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته وقال لامراته انشدك
بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله تعالى قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم
انطلقا الى عمر رضي الله عنه فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فسل ابن ارقم فساله فاخبره

فارسل الى امرأة ابن ابي عذرة فجاءت وعمتها فقال انت الذي تحدثين زوجك انك تبغضينه فقالت
اني اول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي
فان كانت احديكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون
بالاسلام والاحسان وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم
تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في
الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته ليرضيها وقال
ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي كرم الله وجهه اذا حدثتكم عن رسول الله صلعم
فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه
الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له او لغيره اما
ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان ويساله عن فاحشة بينه
وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكرها ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى
وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره بان
يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر
لكل واحدة منهن انها احب اليه وان كانت امراته لا تطيعه الا بوعد مما لا يقدر عليه فيعدها في
الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا
باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان
يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا
في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق
وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح بضرورة
او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب
المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب مهما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك
اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب
الناس انما هي لحظوظ انفسهم ثم هي لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي
بحسن زوجها فيما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اكثر من زوجي بما لا يفعل اضرها بذلك فهل لي فيه شي
قال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له
واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته
الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو كذلك يستنكف من ان يقول لا ادري
وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد ووعيد
وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا
قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق
اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغنى عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح
فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم
في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يؤدي
الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضايل الاعمال
وفي التشديد من المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب
على متعمدا فليتبوا مقعده من النار ولا يترك هذا الا بضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب
وفيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان ذلك يكرر على الاسماع وسقط وقعها وما
هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاعراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلعم
وعلى الله تعالى فيؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة ولا يقاوم خيره هنا بشره اصلا فالكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الكباير التي لا يقاومها شي **بيان الحذر من الكذب بالمعاريض** وقد نقل
عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض مندوحة ما يكفي
الرجل من الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن
حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا
دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابرهيم اذا
بلغ الرجل عنك فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قوله ما حرف
النفي عند المستمع وعنده الابهام وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنهما فلما رجع قالت امراته ما جيتنا
بما ياتي به العمال من عراضه هدية الى اهليهم وما كان قد جاء به فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى بكر فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في نسايها واشتكت عمر رضي الله عنه

فلما سمع عمر دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه
شيئا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت
لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد
وكان لا يقول ليس ههنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دايرة ويقول
للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا
تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه وعلى الجملة كما روي عن ابي عبد الله ابن عتبة قال دخلت
مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المومنين فكنت
اقول الله جزا الله امير المومنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك
لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فايدة فيه نعم المعاريض
تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل العجوز الجنة وفي عين زوجك
بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير
اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك
فان كان فيه ضرر يودي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق
ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك
بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن
الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقوله قلت لك كذا ماية مرة وطلبتك ماية
مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا
وان طلبه مرارا لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ ماية مرة وبينهما درجات يتعرض
مطلق اللسان بالمبالغة فيه لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقول كل الطعام
فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت
عميس كنت صاحبة عايشة رضي الله عنها التي هياتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي
نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عايشة قال فاستحيت الجارية
قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه
ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت

احدانا الشي يشتهيه لا اشتهيه بعد ذلك كذبا فقالت ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان
اهل الورع يحترزون على التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن
المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب
وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركها انسل لسانه عن اختياره فيكذب
ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خيثم عائدة الى بني له فانكبت عليه فقالت كيف انت
يا بني فجلس ربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول
يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلم ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا
يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى
غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تري او يقول علي ما لم اقل وقال عليه السلم من كذب في حلمه كلف يوم القيمة
ان يعقد شعيرتين **الآفة الخامسة عشر الغيبة** والنظر فيه طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد
فيه من شواهد الشرع وقد نص الله عز وجل على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا يغتب
بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام
دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع عليه السلم بينها وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر
وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني
فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وقال انس قال رسول الله صلعم
مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء
الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان
تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء بن عازب خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا
تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى
الله الى موسى عليه السلم من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول
من يدخل النار وقال انس امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام
الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فائذن لي لافطر فياذن له والرجل

حتى يجي الرجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهل بيتك ظلتا صائمتين وانهما يحصان ان يا تيانك
فاذن لهما فليفطرا فاعرض عنه وعاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم
الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاتا فقاءت كل واحدة
منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقال والذي نفس محمد بيده لو بقيت في بطونهما
لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا
ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحديهما قيئي فقاءت
من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما
احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى وجعلتا تاكلان لحوم الناس
وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من
الربا اعظم عند الله من الخطيئة من ستة وثلثين زنية يزنيها الرجل واربا الربا عرض الرجل المسلم وقال
جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما لا يعذبان
بكبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستتر من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين
فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبرهما وقال اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم
ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا فقال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص
الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال
ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند
الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين قال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في
الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة وقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك
وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا
لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء
فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم
وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة التي ياكل لحوم الناس قال
قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال
الحسن والله للغيبة اسرع في دين المرء من الاكلة في الجسد وقال بعضهم تركنا السلف وهم لا يرون
العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر

عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه
وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا
بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في حاجة نفسك واحب العباد الى
الله من كان هكذي وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلم والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون
ما انتن ريح هذا فقال عيسى عليه السلم ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن الغيبة الكلب ونبههم على
انه لا يذكر شي من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة
فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

معنى الغيبة وحدها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت
نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه وفي
داره ودابته فاما البدن فمثل العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور
ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال
او شي مما يكره كيف كان واما الخلق فان تقول انه سي الخلق متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف
القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب وخاين
وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه
ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما
فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب ما يع يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى
لنفسه حقا على الناس وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه
واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله
فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلاتها
لكنها يوذي جيرانها فقال انها في النار وذكر امراة اخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذن وهذا فاسد
لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسوال ولم يكن التعرض ولا يحتاج اليه في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل
فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا ان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص
لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله
ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد

اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه
فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم فقالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه
وعن حذيفة عن عايشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها
وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان
ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله
فاني اري قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة رضي الله عنها لا يغتابن
احد احدا فاني قلت لامراة وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويل الذيل فقال الفظي الفظي
فلفظت بضعة من لحم بيان ان الغيبة لا يقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم
لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه والتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة
والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن
ذلك ما قالت عايشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم
اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان تمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير
والتفهيم ولما راي رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة حكت قال صلى الله عليه وسلم ما يسرني اني حاكيت
ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه
في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيا من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس
ذلك بغيبة وانما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا
اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم
فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيا قال ما بال اقوام يفعلون
كذا وكذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم
عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل
الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون انهم جمعوا بين فاحشتين
الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان
والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله تعالى ان يعصمنا منه وانما قصده
ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال
فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما نبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه

ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه
ويجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان
باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة بغير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن
ذلك ان يذكر عيب انسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب
ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله تعالى بذكره جهلا منه
وغرورا ومنه ان يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسأل الله ان يروح سره ويكون كاذبا في
دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعا بل لو قصد الدعا لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم له لاغتم ايضا
باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر
الدعا والله يطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري بانه قد تعرض لمقت الله تعالى اعظم مما يتعرض له
الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب
في الغيبة فيندفع اليه فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجيب ما علمت انه كذلك ما عرفته
الى الآن بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان ذلك تصديق للمغتاب والتصديق
بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين فقد روي
عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قال احدهما لصاحبه فلان نؤم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا
مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما
وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا
من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر
على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله اثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشته ذلك بقلبه فذلك
نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك
استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمنا وهو
يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق وقال ابو الدردا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه
بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المؤمن في الغيبة وفضل ذلك اخبار
كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة **بيان الاسباب الباعثة
على الغيبة** اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر شيئا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة

يختص باهل الدين والخاصة واما الثمنية فالاولي تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به فاذا هاج
غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثمّ دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند
الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب
من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام
فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض يرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فساعدهم
ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم
اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من
انسان انه سيقصده ويطول لسانه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان
يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج
كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله
فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شي يريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري
نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه
في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه
ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في اثناء ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم
مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه
فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس
حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد
وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق
المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك
الناس على سبيل المحاكاة والتعجب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور
فيجري ايضا في الغيبة ومنشاؤه التكبر واستصغار المستهزأ به منه واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة
فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان
الشر بها الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطاء في الدين فيقول ما اعجب ما
رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل
الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت

من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان
يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه
ويلهيه الغم عن الحذر وعن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن
ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر
اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان
اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره
على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا من العوام فانهم يظنون
ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة
حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي وروي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا
لله فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه والله لنعلمه قم يا فلان لرجل منهم قم فادركه فاخبره
بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله ان يدعوه
فدعاه وسأله فقال قد قلت ذاك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر كل
يوم والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فسأله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها
او اسات الوضوء لها او الركوع والسجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا
الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسأله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيا فسأله
فقال لا قال والله ما رايته يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيا في سبيل الخير الا هذه
الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسألها
فسأله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للرجل قم فلعله خير منك **بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة** اعلم ان مساوي
الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج
كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم
تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه ينقل في القيمة
حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك
لمقت الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة

فمن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة
والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة
في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك
في حسناتي فمهما امن العبد بما ورد به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا
ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم
ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره
فان كان امرا خلقيا فالذم له ذم الخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء
يا قبيح فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا
يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه
بنفسه انه بري من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته
كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه
معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع
سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول
ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنه فاستجرأت على نهيه
واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخلها الا من شفى غضبه بمعصية
الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من
كظم غيظا وهو يقدر ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء
وفي بعض كتب الله يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما
الموافقة فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك
ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب
عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله تعالى على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب
وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فيعالجه بان يعرف
بان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا
ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر

حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما
عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل
لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل
غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية
اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة
تنظر الى المعزى تردى نفسه من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت في العذر وقالت
العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا
تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم
انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس في فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك
اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوقين
اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة
الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت
نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه
حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك
سيئاته ولا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل
محسودك فقد قيل شعر واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء
فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في
حسرتك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك
عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان يضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك
لان ياخذ بيدك في القيمة على ملاء من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزءا بك
وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة على اثمه فهو حسن ولكن حسدك
ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فتكون جبر الاثم المرحوم فيخرج عن كونه
مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله
لا يوجب الغيبة فانما حملك الشيطان على الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير متعرضا لغضب الله تعالى بالغيبة
واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت

مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتجسس ستر اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة
فقط والتحقق لهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك
بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على
غيره بالسوء واما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن
والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا
انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك
ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال
عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس
وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره
ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجدت فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون
تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا وكل ذلك دلالة محتملة ولا يجوز تصديقها بالقلب واساءة
الظن بالمسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح
به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك
وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف
عقد الظن والشكوك تختلج والنفوس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر
نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه
وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث في المومن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحققه
في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح
بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك
وسرعة تنبهك وذكائك وان المومن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته واما اذا
اخبرك به غيرك فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به
الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما
عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة

العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا ولا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عني
وكان محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شي من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا تحاسد بينه وبين المذكور
ولكن من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا
كان من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض
الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان
ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة
فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك
على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدلالة الوعظ وليكن قصدك
تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك
احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة
له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو
ايضا منهي عنه قال عز وجل ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس
ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان
اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته **بيان الاعذار المرخصة**
في الغيبة اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع
ذلك اثم الغيبة وهي ستة الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا
اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتكلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه
الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق يد ومقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته
الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة
رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك
غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية فتاب ولم ير عمر رضي الله عنه ذلك ممن
قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح
فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف
طريقي في الخلاص فالاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا

الهند لما روي عن هند انها قالت للنبي صلي الله عليه وسلم ان ابا سفين رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي
افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلعم
اذكان قصدها الاستفتاء. الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الي مبتدع اوفاسق
وخفت ان يتعدي اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف علي سرايه البدعة
والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث وتلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على
الخلق وكذلك من اشتري مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او الفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان
في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولي بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سيل عن الشاهد
فله الطعن ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه علي قصد النصح
المستبشر لا علي قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا
بالتصريح بعينه فله ان يصرح به قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اترغبون عن ذكر الفاجر حتي يعرفه الناس اي اذكروه
بما فيه يحذره وكانوا يقولون ثلث لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان
معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم علي من يقول روي ابو الزناد عن الاعرج وسليم الاعمش
وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه ولو علمه بعد ان
صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخري فهو اولي ولذلك يقال للاعمي البصير
عدولا عن اسم النقص السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر
ومصادرة الناس وكان ممن تتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا
ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من القي جلباب الحيا عن وجهه فلا غيبة له
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لابد
من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له
قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجاير فهولاء
الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم
لو ذكره بغير ما يتظاهر به كان اثم قال عوف دخلت علي ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل
ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد
عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج **بيان كفارة الغيبة** اعلم ان الواجب علي المغتاب ان يندم
ويتوب ويتاسف علي ما فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله

وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرايي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما
فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له
بخير وسيل عطا بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان
شيت اخذت بحقك وان شيت عفوت وهذا هو الاصح وقول القايل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف
المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ
من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فزيد على سياته وقالت عايشه رضي الله عنها لامراة قالت
لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غايبا او ميتا فينبغي
ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل
وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم
يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل
قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت
لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير
ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة
فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان
اذا خرج من بيته يقول اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله
وان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة في القيمة ولا اخاصم والا فلا
يصير الغيبة حلالا ولا يسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء ان لا يخاصم
وان رجع وخاصم كان قياس ساير الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه
من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين
يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان له اجر على الله فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وقال تعالى عز وجل خذ العفو
الآية وقال رسول الله يا جبريل ما هذا قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك
وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب فقال بلغني انك قد اهديت
الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام الآفة السادسة عشر

قال الله عز وجل همّاز مشّاء بنميم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار
الي ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم
هو الدعي وقال عز وجل ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال عز وجل حمالة الحطب لانها كانت نمامة لتحمل
الحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح
كانت تخبرهم انه مجنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات
هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الي الله تعالى احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين
يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العثرات
وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار
يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه
بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد على مسلم بشهادة ليس بها فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن
عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار
جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمان نفر من الناس مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام
ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به
وروي كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اني لا استجيب لك
ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة قال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة
واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك
للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الزمهرير وما
ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع
من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الي القريب اذا لم تنجح ابرد من
الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم بيان حد النميمة وما يجب
اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا
وليس النميمة مخصوصة بهذا بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه
ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او الايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال
وسواء كان ذلك عيبا ونقصا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه

ونما الحصر بما اخفينا عن الناس وما اعتنام

بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما
اذا رآى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه واما اذا رآه يخفي مالا لنفسه
فذكره فهو نميمة وافشاء وان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة
اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول وكل من حمل
اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل فيك كذا او يدبر في فساد امرك او ممالاة عدوك او تقبيح
حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة
قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة والثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه
ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر والثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله
ويجب بغض من يبغضه الله والرابع ان لا تظن باخيك الغايب السوء كقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
والخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث ليتحقق بقوله تعالى ولا تجسسوا والسادس ان لا ترضى
لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون نماما ومغتابا وتكون
قد اتيت بما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيا فقال
عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت
صادقا فانت من اهل هذه الآية همان مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا
اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات
في الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت على اخي واشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامين وروي
ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاء رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت
في فقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني كان صادقا فقال
الزهري لا يكون النمام صادقا قال سليمان صدقت اذهب بسلامة قال الحسن من نم اليك نم عنك وهذه اشارة
الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق به وبصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة
والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع
ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال عز وجل
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل اي قاطع بين الناس وهو
النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال

ياهذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك
فقال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء
السر وقبول كلام كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير في ذكره بسوء
قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي
ان لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت السعاة عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم
يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية
لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان
في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا
كانت الى من يخاف جانبه يسمى سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشده
يعني ليس ولد الحلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير
المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله
فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا في الامة الا خسفا
والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسايلهم الغيبة والوقيعة وانت
مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا
بايع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد بن الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل
زياد على الرجل وقال انت امرؤ اما ائتمنك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا
بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بسوء فقال له عمرو
ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين ابلغتني عن اخي ما اكره ولكن
اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن
عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة
والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني اني
اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم
واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخدانك
من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق
وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى

بحلمك لانه لم يبال بذلك بشتمك وعلي الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقا قال الحماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال
للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك
لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك
ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم الرجل فجاءت المراة
بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها وجاء اهل المراة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين طال الامر
الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو
عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له
وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر
عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بحديث هولاء وهولاء بحديث هولاء وفي لفظ آخر ياتي هولاء
بوجه وهولاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار
قرات في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان
وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قيل وما الامعة قال يجري مع كل ريح ما اتفقوا على ان
ملقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله
فلا تصلي عليه فقال يا امير المومنين انه منهم فقال ونشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا امن منها احدا
بعدك فان قلت فبماذا يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما
وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة
لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل
كلام واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فاذا
نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة
مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما
في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت
او يثني على المحق من المتعادين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل

علي امرائنا فنقول له القول واذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول علي الامير وعن الثناء عليه فلو استغني عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن
فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة المال
والجاه والغني واثني فهو منافق وهذا معني قوله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الي الامراء ومراعاتهم فاما اذا ابتلي لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان
اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت عايشه رضي الله عنها استاذن
رجل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه لان له القول فلما خرج قالت
عايشه رضي الله عنها يا رسول الله قد قلت بئس رجل العشيرة ثم لنت له في القول فقال صلى الله عليه وسلم يا عايشه
ان اشر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال والكشر والتبسم واما الثناء فهو كذب صريح
فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الراس
في معرض التقرير علي كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر
بقلبه الآفة الثانية عشر المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد
ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الي
الكذب قال خالد بن سعدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه علي روس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر
بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مظهرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير
مرائيا منافقا الثالثة انه يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الي الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان لابد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا
ولا ازكي علي الله احدا حسيبه الله ان كان يري انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الي المدح بالاوصاف المطلقة التي
تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج
فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله ايضا انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة
باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني علي رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي
لا اله الا هو لا تعرفه الرابع انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فالظالم الفاسق
ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما
مهلكان قال الحسن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل

هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المومنين
فقال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فما ذا قال خشيت ان يخالط قلبك منها شي فاحببت ان اطاطي منك
الثانية هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي من نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل
من يري نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قطعت
عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلعم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال
ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال
ايضا زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراي له شيطان ولكن المومن يراجع قال ابن المبارك
لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم
لو مشي رجل الي رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح
وذلك لان الممدوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح
فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل كان مندوبا اليه
ولذلك اثني رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر
لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد علي هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم
ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء علي انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله
وبقربه من الله لا من ولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه
علي بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات يقدر علي الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم
وجبت لما اثنوا علي بعض الموتي وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت
الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع علي نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك
فهذه آفات المدح **بيان ما علي الممدوح** اعلم ان علي الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب
وآفة الفتور ولا ينجو عنه الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقايق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من
نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري علي خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة
المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفين بن عيينه
لا يضر المدح من عرف نفسه واثني علي رجل من الصالحين فقال اللهم ان هولاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر
لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك علي مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه

اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال
اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي عليه السلم انا دون
ما قلت وفوق ما في نفسك الآفة التاسعة عشر في الغفلة عن دقايق الخطايا في مجرى الكلام لا سيما فيما يتعلق
بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم
او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم
ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف
الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلعم
اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقد غوى فقال له قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان
ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا
الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار ويقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون
من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد قال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد
ويكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال اذا قال الرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة احمارا رايتني خلقته
اخنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلمة يقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر والله ما حلفت منذ سمعت وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب
الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله
وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن ليقل سيدي
وسيدتي وكلكم عبيد الله والرب الله وقال صلعم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم
وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا بري من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام
سالما وقال صلعم وهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان
علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات
كلها مهالك معاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه
لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك
لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن يتكلم فكن ممن يسكت فتسلم والسلامة احدى الغنيمتين الآفة
العشرون سؤال العوام عن صفات الله سبحانه وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال

بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان
يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي
فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات
والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم
يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال سايس الدواب عن اسرار الملوك وهو يوجب العقوبة
وكل من يسال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلعم ذروني
ما تركتكم فانما كان هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه
ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله صلعم يوما فاكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسالوني
عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول
الله من ابونا قال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله ابي في الجنة ام في النار فقال لا بل في
النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلعم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
رسولا فقال اجلس رحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلعم عن القيل والقال واضاعة المال
وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله تع علوا كبيرا
فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل احدكم على يساره ثلثا وليستعذ من الشيطان الرجيم
وقال جابر ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلم تنبيه على ان المنع من السؤال
قبل اوان استحقاقه واجب اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة
انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت الآية فلما لم يصبر حتى سال ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك ففارقه
فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب ذمهم ومنعهم من ذلك وخوضهم
في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا رسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه
في ان قراطيس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن
واشتغاله بحروفه اهي قديمة ام حديثة وكذلك ساير صفات الله تعالى

تم كتاب آفات اللسان بعون الله الملك الديان والحمد لله رب
العالمين ٥

كتاب آفة الغضب والحقد و

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي يتكل على عفوه ورحمته الراجون ويحذر سوء غضبه وسطوته الخائفون الذي استدرج عباده من
حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ
فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحنهم ليعلم صدقهم فيما يدعون
وعرفهم انه لا يخفى عليه شي مما يسرون ويعلنون وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال عز وجل
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة والسلم
على محمد رسوله الذي يسير تحت لوايه النبيون والمرسلون وعلى آله واصحابه الايمة المهديين والسادة المرضيين
صلوة يوازي عددها ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون اما بعد
فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع على الافيدة وانها لمستكنة في طي
الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار
من الحديد وقد انكشف الناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته
نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين وان شان
الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد
والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح ساير البدن واذا كان
الحقد والحسد مما يسوقان العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر
ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر
يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا يكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر الآن ذم الغضب
وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان الغضب
هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان
فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول
في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته
وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم
والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم

بيان القدر الواجب في نفي الحسد

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال صلى الله عليه وسلم لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وعن عبد الله بن عمر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله قال لا تغضب قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب يستخف فؤاد الرجل الحكيم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه وسلم لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب يا اخي قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال عيسى ان شاء الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل اي شيء اشد قال صلى الله عليه وسلم غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب

الآثار

قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار وقال ذو القرنين لقيت ملكا من الملوك فقلت علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاء حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب فان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك قال فقال انه هو الشيطان ولقد اردت ان اضلك فلم استطعك فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان اسألك عن شيء فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل ذا الحدة قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في رأسه وقال جعفر بن محمد عليهما السلام الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب

الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما عجزوني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه
حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لم يعلم وعمل بما يندم ويبخل بما في يديه ويمنيه بما لا يقدر
عليه وسئل الحكيم ما املك فلان لنفسه قال اذا لا يذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك
والغضب فانه يصيرك الى مذلة الاعتذار والغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال ابن مسعود
انظر الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك فاذا غضبت على رجل فاحبسه فان سكن
غيضك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش
لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك ما تناله
مني غدا لا والله لا كان ذلك ابدا اذهب فقد عفوت عنك وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب
كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا
وان كان للآخرة كان علما وحلما وقيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه
اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ الهوى والطمع والغضب وقيل من اطاع غضبه وشهوته قاداه
الى النار قال الحسن من علامات المسلمين قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق
واعطاء في حق وقصد في غناء وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية
ولا يغلبه الشهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل
ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل
لابن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه من يكفل لي
ان لا يغضب يكون معي في درجتي في الجنة ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه
فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به
وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب من داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم
عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه
من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها
حتى يصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها
لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء

كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي
تتعرض لها الانسان كالسيف والسنان وساير المهلكات التي يتقصد بها فافتقر الي قوة وحمية تثور من
باطنه فتدفع المهلكات فخلق الله الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما صد في
غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في
العروق ويرتفع الي اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء المغلي علي النار في القدر فلذلك ينصب الى
الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفايها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون
ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب علي من دونه ويستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان
معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الي جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر
اللون وان كان علي نظير يشك في الانتقام منه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر
ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه
هذه القوة عند ثورانها الي دفع الموذيات قبل وقوعها والي التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام
قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها لا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة علي درجات ثلثة في اول
الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او بضعفها وذلك مذموم
وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب ولم يغضب فهو حمار فمن فقد
قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالي الصحابة رضي الله عنهم بالشدة والحمية فقال
عز وجل اشداء علي الكفار رحماء بينهم وقال عز وجل لنبيه عليه السلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى
يخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقي للمرء معه بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة
المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى
كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين علي ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال
عليه السلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون
بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر علي
المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمع منه ذلك رسخ
في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتد نار الغضب وقوي اضطرامها
اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع

نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ فيتصاعد
عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الي الدماغ مظلم فيستولي علي معادن الفكر وربما يتعدى
الي معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه شيا وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه علي مثال كهف
اضرمت فيه نارا فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفي او انمحى
نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلم ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل
ينبغي ان يصبر الي ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار
الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه عندها كما يقوى النار في الكهف فتنشق وتهد
اعاليه علي سافله وذلك لابطال النار في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب
الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجي سلامة
من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال ليسكها ويدبرها وينظر لها واما القلب فهو صاحب
السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على
الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راي الغضبان نفسه في حال غضبه وقبح
صورته لسكن غضبه حيا من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اقبح من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان
الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الي الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة لتغير الباطن فقس الثمرة
بالثمرة فهذا اثره في الجسد فاما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والقبيح وفحش الكلام الذي يستحي منه
ذوو عقول ورذايله يستحي منه عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على
الاعضاء فبالضرب والتهجم بالقتل والجرح من غير مبالاة وطريق البثات فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته بسبب عجز عن التشفي رجع الغضب علي صاحبه فتمزق ثوب نفسه ويلطمها ويضرب
راسه علي الارض او يده ويعدو مثل الواله السكران المدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق النهوض
لشدة الغضب وتغير به مثل الغشية وربما يضرب الجمادات فيكسر القصعة والعصارة والمائدة ويتعاطى
افعال المجانين ويشتم بالحمار والبغل ويخاطبه ويقول الي متى احتملك يا كيت وكيت كانه يخاطبه عاقلا
حتى انه ربما رفسه دابة فرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد
والحسد واضمار السوء والشماتة بالمسيآت والحزن بالمسرات والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء
وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة فما يانف منه من التعرض

للحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال
صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني ومن سعد وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب
ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة
في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداها
في الدين وقال عز وجل ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة النفس اذ تتم الرياضة
بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم
وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم
وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه النبي صلعم
حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في
احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره
الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج غضبه حتى يقوى سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين
الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فيطلب القرب منه قال
الله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل الآية فليس كل من عجز عن الاتيان
بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب
ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالته بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون ان يتصور محو
الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة تتوجه واياه بقصد وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي
من يظن ان الخلق كالخلق وكل هذا لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي
الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد ان يحب ما يوافقه
ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا
ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن
والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجراح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر
عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي يسكنها او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان
من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالمال
الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب
والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في الوقت فهذا الجنس

تما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاما اذا كانت له دار زايدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا
يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة ولا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها
ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والمنصب والصدر
في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا
يحب ذلك لا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت
محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكل ما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة
وانقص لان الحاجة صفة نقص ومهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجته وشهوته
وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي الى بعض الجهال بالعادات الردية ومخالطة قرناء
السوء الى ان يغضب لو قيل له انه لا يحسن اللعب بالطيور والشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول
الطعام الكثير وما هو مثل هذه الرذايل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري
القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه
فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى
القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص
وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وله قوت
يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقايق الامور وسلم له هذه الثلثة يتصور ان لا يغضب
في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه
لينعدم غيظ القلب ولكن لكي لا يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحسنه الشرع
ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا
فاما قمع اصل الغيظ فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه بحيث لا يشتد هيجان
الغضب في الباطن وينتهي الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهكذا حكم القسم الثالث
ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع به ويضعف
هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك
عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة
وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد
في الدنيا ويمحي حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب

فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل
موجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه بعينه دون الغضب فمن له شاة مثلا
وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كانت يحصل منه كراهية وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان
يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى
فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع الملك بضرب
رقبته لم يغضب على القلم ولا يغضب على من ذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح
من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع بحسن الظن بالله وهو ان يرى الكل من الله تعالى فان
الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وخوفه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد
لانه يرى ان الخير منه فيقول هذا على الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف
يغلب في الاحوال المختلفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولا
يتصور ذلك على الدوام لبشر ولو تصور لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يغضب حتى يحمر وجنتاه
حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها
مني صلاة وزكاة وقربة عليه تقربه بها اليك قال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت في
الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه
فلم يقل صلى الله عليه وسلم اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب
وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال مالك جاء شيطانك فقالت ومالك يا رسول الله شيطان قال بلى ولكن
دعوت الله فاعانني عليه فاسلم على يدي فلا يامر الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب
لكن قال عليه السلام لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا
فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شي حتى ينتصر له وكان يغضب على الحق فان كان غضبه
لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له منها
في دينه فانما غضبه لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد تفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان
القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب
ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر
مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فهذا قد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم
وكذلك شتم الربيع بن خثيم قال لما شتم الشاتم فقال يا هذا قد سمع الله تعالى كلامك وان لم اقطعها

فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر الصديق رضي الله عنه فقال لما ستر الله عنك اكثر فكانه مشغولا بالنظر في تقصير
نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه بسبب غيره اياه الي نقصان اذ كان ينظر الي
نفسه بعين النقصان وذلك لجلالته فقد قالت امراة لمالك بن دينار يا مرايي فقال ما عرفني غيرك وكانه
كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الريا منكرا عليها بما يلقيه اليها الشيطان فلم يغضب لما نسب اليه
وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل
دالة في الظاهر علي انهم لم يغضبوا باشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر ذلك علي قلوبهم
ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب علي قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد
ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض الحاجات فاذن يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة
نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله تعالي يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي بشدة حبه لله تعالي
غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب هو اخراج حب الدنيا
عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن القلب
تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها
ولا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيي لعيسي عليهما السلام اي شي اشد قال غضب الله قال فما يقرب
من غضب الله تعالي قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسي عليه السلام الكبر والعجب
والفخر والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة
والغدر وشدة الحرص علي فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب
مع بقا هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع والعجب
بالمعرفة بنفسك كما سياتي بيانه في كتاب الكبر والعجب ويزيل العجب بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في
الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل لا بالانساب فبنو آدم عليه السلام جنس واحد وانما الفخر
بالفضايل والفخر والعجب اكبر الرذايل وهي راسها واصلها واذا لم تخل عنها فلا فضل لك علي غيرك فلم
تفتخر وانت من جنس غيرك من حيث البنية والنسب والاعضا الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل
بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضايل
والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الي سعادة الآخرة واما التعيير فتزيله بالتكرم عن ايذا
الناس وصيانة النفس عن ان يستهزا بك واما المماراة فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر

الجواب واما شدة الحرص على فضول الكلام وشعم العيش فيزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لاجر الاستغنا
وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل
مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوايلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت
عن هذه الرذايل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال
تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وغيرة نفس وكبر همه وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى يميل
النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس
مايلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا غيرة نفس وشجاعة ورجولية
جهل محض بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وذلك لان المريض اضعف
قلبا واسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل وكذلك الصبي والشيخ الضعيف اسرع غضبا
من صاحب الفضايل والرذل يغضب لشهوته واذا فاتته اللقمة وبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على
اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما
استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك وضد ذلك منقول
عن الارذال والاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء والذين لا عقل لهم ولا فضل بيان علاج الغضب
بعد هيجانه اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا اجري سبب هيجه
فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه
بمعجون العلم والعمل فاما العلم فهو ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم
الغيظ والعفو والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام ويطفي
غيظه وقال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المومنين
فالتفت الي فقرات خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف
وكان يتامل الآية وكان وقافا على كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فتدبر ثم خلا الرجل وامر عمر بن
عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا والكاظمين الغيظ الآية وقال لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب
الله عز وجل وهو ان يقول الله اقدر علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن
ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في بعض الكتب

يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا
الى حاجة فابطا عليه فلما جا قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي القصاص في القيمه وقيل ما كان في بني
اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم ترحم ارحم المسكين واخش الموت واذكر
الآخرة فكان يقراها حتى يسكن غضبه الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو
لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصايبه وهو لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب
الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف في الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال
الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان تتشوش
عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع ان يتفكر في قبح صورته
عند غضبه بان يتذكر صورة غيره عند الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه
للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب كالانبيا والعلما والحكما ويخير
نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا والصالحين في عادتهم لتميل
نفسه الى حب هولا الكبرا والاقتدا بهم ان كان قد بقي معه مسكة من العقل الخامس ان يتفكر في السبب
الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل
منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تانفين
تانفين من الاحتمال اليوم ولا تانفين من خزي يوم القيمه والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وانت
تحذرين ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين ان تصغري عند الله تعالى وعند الملايكة والنبيين فمهما
كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمه اشد من ذله
لو انتقم الآن اولا يحب ان يكون هو القايم اذا نودي يوم القيمه ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا
فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يكرره على قلبه السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان
الشي على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب
الله عليه اعظم من غضبه واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عايشه رضي الله عنها اخذ بانفها ويقول يا عويش
قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول
ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف
بذلك ذل نفسك واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقال

النبي صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة يوقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم
من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل بذلك فليتوضا بالماء البارد او ليغتسل
فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فان الغضب من
النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفى النار بالماء فاذا غضب
احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب
وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة
في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده في
الارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب ليستشعر به النفس الذل
ويزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق
وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي
اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والارض تحتك ثم اعظم خالقهما روي ان ابا ذر
قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم
عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه وذكر ذلك لرسول الله صلعم
فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله الله تعالى بعمل
ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك وان كنت متكيا فاضطجع وقال المعتمر بن
سليمان كان رجل ممن قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب له ثلث صحايف واعطى كل صحيفة رجلا وقال
للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي
فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله
انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية وفيها مكتوب ارحم من في
الارض يرحمك من في السماء واعطي الثالثة وفيها مكتوب خذ الناس بحق الله تعالى فانه لا يصلحهم الا ذاك
اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال لا تغضبن لله با الله من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

لمن كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ذكره الله تعالى في معرض المدح وقال
صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل عذره ومن خزن لسانه
ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد الله وقال صلى الله
عليه وسلم من كظم غضبا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا

وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال عليه السلام ما من
جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله تعالى على رؤس الخلايق يخيره في اي الحور شاء. الآثار
قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشتد غضبه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون
وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك
معيشتك وقال يحيى بن ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع الثوري وابن خزيمة اليربوعي والفضيل فتذاكروا
الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله
ما تقضي بالعدل ولا تعطي الحق فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع الى قول
الله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نار
فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب
لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى ابي سليمان فقال يا ابا عبد الله اوصني
قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل
من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم فلا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه
ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك فلا اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون
في كظمه تعب وهو الحلم الطبعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن
ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه
ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه
التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا
لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم اشارة بهذا الى ان الكبر
والتكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم
وزيني بالحلم والزمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله
تعالى قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم
خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة رضي

ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم
فقال صلى الله عليه وسلم لين كان كما تقول فكانما تسفهم الملل ولا يزال معك من الله ظهير ما دامت علي ذلك الملل
يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا
فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له ذنبه وقال صلعم ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم يا رسول الله قال رجل كان اذا اصبح يقول اللهم اني اتصدق اليوم بعرضي على من
ظلمني وقيل في تفسير قوله عز وجل ربانين اي حلماء عن الحسن قال في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما قالوا حلما ان جهل علينا لم نجهل وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما
وقال ابن حبيب في قوله تعالى فيه كهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي
اذا اوذوا صفحوا روي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى
كريما وتلى ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله عز وجل واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب
وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم
وهيشات الاسواق وروي انه قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح ثوبين
كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين ولبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يصنع ثم
اقبل يمشي اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك خلقتين يحبهما الله تعالى ورسوله قال ما هما بابي وامي
انت يا رسول الله فقال الحلم والاناءة وقال خلقتان تخلقتهما او خلقتان جبلتهما قال صلى الله عليه وسلم بل
خلقتان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقتين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي اللسان السايل الملحف وقال ابن
عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشي من عمله تقوى تحجزه
عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق
يوم القيمة نادى منادي اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملئكة
فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا كنا اذا
ظلمنا صبرنا واذا اسي الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الاثار
قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عليه ليس الخير ان تكثر مالك
وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك وحلمك وان تتباهى الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات

استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع
الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان
تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه
ان الناس كلهم انصاره واعوانه علي الجاهل وقال معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله
وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية ابن الاهيم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه
قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح آخرته وقال انس في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم الي قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول له ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله
لي وقال رجل شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما
فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد
انك من الفاسقين فقال ليس يقبل شهادتك وروي عن علي ابن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه
خميصه كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص
الرجل مما يبعد من الله تعالى وحمله علي الندم والتوبة ورجوعه الي المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشي
من الدنيا يسير وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة فقال يا امير المومنين كنت احلم عن
جاهلهم واعطي سايلهم واسعى في حوايجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني
ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر اني
اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من
اساء اليك فاحسن اليه فجعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم
ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن
يحرص علي الشي لا يسلم ومن لا يدع المرا يشتم ومن لا يكره الشتم ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله
تعالى يحفظ ومن يستعن بالله ولا يستعن بغيره يظفر وقال رجل لمالك بن دينار انك ذكرتني بسوء فقال
فانت اذا علي اكرم من نفسي اني اذا فعلت هذا فقد اهديت اليك حسناتي وقال عيسى عليه السلم الحلم
لدفع من العقل لان الله تعالى يسمى به وقال رجل لحكيم والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك
يدخل لا معي ومر عيسى بن مريم عليه السلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم
يقولون شرا وانت فيهم تقول خيرا فقال صلى الله عليه وسلم فكل واحد ينفق ما عنده وقال لقمن ثلثة لا يعرفون
الا عند ثلثة لا يعرف الحلم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا تعرف اخاك الا عند حاجتك اليه

ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة
وشتمت الحكيم فخرج الصديق مغضبا وتبعه الحكيم وقال له تذكر يوما كنا في منزلك فسقطت دجاجة على المائدة
وافسدت ما عليها فلم يغضب احدنا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عنه وانصرف
وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب قوم حكيما فاوجعوه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام
حجر تعثرت به فوقفت وذبحت الغضب وقال محمود الوراق شعر سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وان كثرت منه علي الجرايم . وما الناس الا واحد من ثلثة . شريف ومشروف ومثل مقاوم . فاما الذي فوقي فاعرف قدره
واتبع فيه الحق والحق لازم . واما الذي دوني فان قال صنت . عن اجابته عرضي وان لام لايم . واما الذي مثلي فان زل او هفا
تفضلت ان الفضل بالحر حاكم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي من الكلام اعلم ان كل ظلم
صدر عن شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا التجسس ولا السب بالسب
وكذا سائر المعاصي وانما القصاص على ما ورد به الشرع وفصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل عليه بمثله
لقوله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال صلى الله عليه وسلم المستبان شيطانان يتهاتران
وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انك كنت جالسا
ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت فقال صلى الله عليه وسلم لانك كنت ساكتا والملك يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك
وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلعم
عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي بما فعله والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت
الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود هل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من اب
امية ومثل قوله يا احمق قال ابن مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين الله تعالى الا ان بعض الناس اقل حمقا
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ
ما من احد الا وهو فيه جهل فقد اداه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب الاعراض
وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حيا ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت فاخزاك الله وانتقم منك
واما النميمة والكذب والغيبة وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد
كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد ان ما بيننا لم يبلغ دينا يعني ان اثم بعضنا في بعض فلم يسمع
السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ولا هو مثل الحرام كالنسبة الى الزنا والسب
والفحش ما روت عايشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن الى فاطمة فجاءت فقالت
يا رسول الله ارسلني ازواجك اسالك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نايم فقال صلى الله عليه وسلم

يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم فقال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرت بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا
فارسلن زينب بنت جحش وهي التي كانت تساهيني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر
فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى
جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها بنت ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها فسببتها
ليس المراد به الفحش من الكلام بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال صلى الله عليه وسلم المستبان
على ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر الذي
اباحه هؤلاء فهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق باللسان ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن
الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب
لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في
فور الغضب ولكن يفور سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة
فبعضهم كالحلفاء سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم
ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود وبطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب
سريع الرضا فهذه بتلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو
شيطان وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم
بطيء الغضب سريع الرضاء ومنهم سريع الغضب بطيء الرضا فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا
وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال
يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى
الواجب ولانه لا يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه فينبغي ان يكون انتقامه
وانتصاره لله لا لنفسه رأى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع
عمر فقيل يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم
احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك
القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز
عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا اذ معنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله
له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد ثمرة الغضب والحقد
يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة اصابها وتسر

بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه والثاني ان تزيد على اضمار
الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء والثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك
واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا والخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب
وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب
وبما يولمه به الثامن قطع حقه من صلة رحم او قضاء دين ورد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات
الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله
في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام
بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او ترك الدعاء له والثناء عليه او
التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما تنقص درجتك في الدين وتحول بينك وبين فضل عظيم
وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح لما كان تكلم في واقعة الافك
نزل قوله عز وجل ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الآية فقال
ابو بكر رضي الله عنه بلى نحب ذلك وعاد على الانفاق عليه فالاولى ان ينفق على ما كان فان امكنه ان
يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل
اعمال المقربين وللحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة
ولا نقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه
بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال والثاني اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة
الصالحين **فضيلة العفو والاحسان** اعلم ان معنى العفو ان يستحق حقا فتسقطه او تترك
عليه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك اوردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
وقال عز وجل وان تعفوا اقرب للتقوى وقال صلى الله عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت حالفا
لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفى رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى
الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله له باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع
لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله عز وجل والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله سبحانه
وتعالى والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك حرمة من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله
شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر

لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي وقال يا عقبة الا اخبرك بافضل
اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال
موسى عليه السلم يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذين اذا قدروا عفوا ولذلك سئل ابو الدردا من اعز
الناس قال الذين يعفون اذا قدروا فاعفوا يعزكم الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو ا
مظلمة فامره ان يجلس واراد ان ياخذ له المظلمة فقال صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم
القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلث اصوات يا معشر الموحدين ان الله تعالى
قد عفى عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت
وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم
حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف عليه السلم لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور ودخلوا في الاسلام قال سهل بن عمرو قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون ما تظنون قالوا يا رسول الله
نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد
ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافين عن الناس فقام كذا وكذا
الفا فدخلوها بغير حساب قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي احدكم ان يؤتى بحد الا
اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من
كانهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ
في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله قال ابو بكر او احديهن يا رسول الله قال او احديهن

الآثار قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه اشتغل قلبه بتعرضه
لمعصية الله تعالى عز وجل بالظلم والله تعالى يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله
تعالى ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه
ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال
يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان احد يدعو عليك انك ظلمته فان شئت

استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما الي يوم القيمه فليسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعى على
ظالمه كل الظالم الي ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه بلغنا ان الله تعالي امر مناديا يوم القيمه فينادي من كان له عند الله شي فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم
الله تعالي بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين قد اذنب احدهما ذنبا
عظيما فعفى عنه والاخر قد اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال شعرا تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها وقال مبارك بن فضالة اوفدني
سوار بن عبد الملك في وفد من اهل البصرة الي ابي جعفر وكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت في نفسي
يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المومنين الا احدثك بما سمعته من الحسن قال وما هو
قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمه جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر فيقوم منادي فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى فقال والله لقد سمعته من الحسن
فقلت والله فقال خليا عنه وقال معوية عليكم بالحلم حتى يمكنكم الفرصة واذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال
وروي ان راهبا دخل علي هشام بن عبد الملك فقال الراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكنه
انما اعطي ما اعطي لاربعة خصال كن فيه كان اذا قدر عفى واذا وعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم
لغد وقيل ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر وعفا وقال زياد القدرة
تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم
بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المومنين قال الله تعالي يوم ياتي كل نفس تجادل عن
نفسها افنجادل الله تعالي ولا نتكلم معك كلاما طيبا فقال هشام بلي تكلم وروي ان سارقا دخل علي خباء
عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله تعالي ان يستر علي به
يوم القيمه وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في حجزته فوجدها
قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله
اللهم ان كان حمله علي اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراة علي الذنب فاجعله آخر ذنوبه
وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان دخل الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت
دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلي الدنانير تبكي فقال لا ولكني ابكي لموقفي واياه بين يدي الله تعالي
واشراف عقلي علي ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو
علي البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خايف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر

الحسن معه قصة يوسف عليه السلم وما صنع به اخوته وبيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا
اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير وماذا صنع الله به اذ انه منهم
ورفع ذكره واعلى كعبه وجعله على خزاين الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع اهله وقال لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه وقال الحكيم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو لم
اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الي صديق له يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من
زلته الي عفوك لائذ بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو واتي عبد الملك بن مروان
باساري من الاشعث فقال ارجاء بن حيوة ما ذا تري قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط من العفو
ما تحب فعفي عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت عنه فاخذ اخا له فقال ان جيت باخيك والا
ضربت عنقك فقال ارايت ان جيتك بكتاب من امير المومنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب
من العزيز الحليم واشهد عليه شاهدين ابرهيم وموسى عليهما السلم قوله عز وجل ام لم ينبا بما في صحف موسى
وابرهيم الذي وفي ان لا تزر وازرة وزر اخري فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في
الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان فضيلة الرفق اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف
والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب
الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاوه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت والرفق
في الامور ثمرة ولا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب والشهوة وحفظها على حد
الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة
انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير
الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عز وجل اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق فاذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون
الرفق الا قد حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف
وقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة ارفقي فان الله تعالى اذا اراد باهل بيت خيرا وكرامة دلهم على باب الرفق
وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي ولاية ورفق رفق
به يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلعم
الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التاني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رجلا
جاء الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال

الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال صلى الله عليه وسلم هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا
فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوا كان ذلك فانته عنه وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر علي بعير صعب فجعلت تضربه يمينا وشمالا فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة
عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع من شي الا شانه **الآثار** بلغ عمر رضي الله عنه ان جماعة من
عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما قدموا عليه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حق
النصيحة بالغيب والمعاونة علي الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله تعالى
ولا اعم من حلم امام عادل ورفقه وليس جهل ابغض الى الله عز وجل ولا اعم من جهل الامام وخرقه واعلموا
انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم
وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين
اخوه والصبر امير جنوده وقيل ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل
يزينه الرفق وما اضيف شي الي شي مثل حلم الي علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون
ذا اناة وتلاين الولاة فقال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من تقدر على ضرك وقال سفين لاصحابه
تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه
والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذا اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة
بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود وسط
بين الضعف واللين كما في ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الي الحدة والعنف اميل كانت الحاجة
الي ترغيبهم في جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن
فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قال عمر بن عبد
العزيز روي ان عمرو بن العاص كتب الي معاوية يعاتبه في التاني وكتب اليه معوية اما بعد فان التفهم
في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب من خاب بالاناة وان المتثبت
مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره
الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة
الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجريها وقال ابو حمزة لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل
انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن
المؤمن وقاف متاني وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم عن الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في

اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الي العنف قد يقع ولكن علي الندور وانما الكامل من تميز مواقع الرفق عن
مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله
الي الرفق فان النجح معه في الاكثر القول في ذم الحسد وفي حقيقته ومعالجته وغاية الواجب
ازالته بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع
من فروع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وفي ورود ذم الحسد
قال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد
واسبابه وثمراته لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم جلوسا فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة فطلع رجل من الانصار
ينطف لحيته من وضوءه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك فطلع ذلك الرجل بعينه فقال له في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم
اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان
تؤويني اليك حتى تمضي ذلك فعلت فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب
علي فراشه ذكر الله ولم يقم حتى يقوم لصلوة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلث
وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال
ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين غشا ولا
حسدا على خير اعطاه الله تعالى قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم
ثلث لا ينجو منهن احد الظن والكبر والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا
تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه
الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والغيبة
وهي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا
ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان
يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما
داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي
ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام

لما تعجل الى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم عند ربه فسال ربه ان يخبره باسمه
وقال احدثك في عمله ثلث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة
وقال زكريا عليه السلم قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء قيل ومن
اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب
بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل
الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد الآثار وقال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد
ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان
يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال ما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به
ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين واياك والحرص فانه اخرج
آدم من الجنة اسكنه الله تعالى جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه
اكل منها ثم نودي اهبطا الى آخر الآيات واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده وقرأ عليه واتل
عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآيات واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت
واذا ذكر النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك ويقول احسن
الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام وسعى به الى الملك
فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال
تدعو به اليك فانه اذا دنا منك يضع يده على انفه لئلا يشم رايحة البخر فقال له انصرف حتى
انظر فلما خرج من عند الملك دعا الرجل الى منزله واطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك
فقال احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيه مساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده
على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق وكان الملك
لا يكتب بخطه الا بجايزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه
واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال
خط الملك لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك
فقال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه

وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما صنعت بالكتاب
فقال لقيني فلان فاستوهبه فوهبته له فقال انه ذكر انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت
يدك على فمك قال اطعمني طعاما وفيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك
المسيء مساوه وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده
على الدنيا وهي حقيرة في جنب الجنة وان كان مثل هذا الشان فكيف احسده على الدنيا وهي مصيره الى
النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال فما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك
ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية
كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد للنعمة فانه لا يرضيه الا زوالها قال الحكيم شعر كل العداوة قد ترجى ازالتها
الا عداوة من عاداك من حسد وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي
ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد
اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره
الى النار وقيل الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ومن الخلق جزعا
وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموت الا فضيحة ونكالا بيان حقيقة الحسد
وحكمه واقسامه ومراتبه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما
ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه
الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة
وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد اللفظين بدل الآخر
ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو
الحسد وهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد
ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهيتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة
بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك نعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها
ولانه كراهة وسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة
واي معصية تزيد على كراهيتك لراحة مسلم من غير ان يكون فيه مضرة والى هذا اشار القرآن ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال عز وجل ود
كثيرا من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان



حسدهم وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله عز وجل حسد اخوة يوسف عليه السلم
وعبر عما في قلوبهم بقوله اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة الايتين فلما كرهوا حب
ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه وقال عز وجل ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يضيق به
صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال عز وجل في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله وقال عز وجل كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا
بينهم قيل في التفسير حسدا وقال عز وجل وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله تعالى العلم
ليجمعهم ويولف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم
ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلعم
اذا ارادوا ان يقاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا
ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال عز وجل وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى قوله يكفروا بما انزل الله بغيا بينهم اي حسدا وقالت صفية بنت حيي
للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي
بشر به موسى عليه السلم قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة
فليس بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة اليها واما مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد
بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم ويسالانه ان يؤمرهما
على الصدقة قالا لعلي رضي الله عنه حين قال لهما علي رضي الله عنه لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا
منك الا منافسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على
زوجه اياك فاطمة وهو مشتق في اللغة من المنافسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله عز وجل وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون وقال عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم واما المنافسة عند خوف الفوت وهو
كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة
لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه للناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري
فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم
يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب
لان يكون له مثل ما كان له من غير زوال النعمة عنه وثالث رجل آتاه الله تعالى مالا فهو ينفق منه في

معاصي الله عز وجل ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال فلان كنت اعمل مثل عمله فهما في الوزر سواء قد
ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج
على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك
النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه
ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام فان كانت النعمة من الفضائل كالانفاق للاموال في
المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح
وكل ذلك راجع الى ارادته مساواته واللحوق به في كل نعمة وليس فيها كراهية للنعمة وكان تحت هذه النعمة
امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه
ويحب مساواته اياه ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل
ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنها لا يوجب العصيان وههنا دقيقة
غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة ويكره تخلفه ونقصانه ولا محالة يحب زوال النقصان
وانما يدرك نقصانا اما بان ينال مثل ذلك او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب
لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك عنده اشهى من دوامها اذ بزوالها
يزول تخلفه وتقديم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره
ليسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه فيما
يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله
المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنها الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت
فلا تبغي اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا اللحوق باخيه من النعمة
فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحسد من المنافسة
يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر ولا احد الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه
من يحب ان يساويه ويكاد يجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين في النفوس ومهما
كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة
عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته وادراك النعمة وذلك لا رخصة
فيه ابدا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى ذلك عنه ما لم يعمل به ان شاء
الله ويكون كراهية لذلك من نفسه كفارة له وهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فهي اربعة



الاول ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذه غاية الحسد الثانيه ان يحب زوال
النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره
وهو يحب ان يكون له فمطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها والثالثه
ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما
الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان
في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثالثة اخف من الثانية
والاولى مذموما محضا وتسميه الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال الله عز وجل ولا
تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنية مثل ذلك غير مذموم فاما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فلو كان امرا دينيا فسببه
حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دينويا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان مباحات الدنيا
والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصرها سبعة اشياء العداوة
والتعزز والتكبر والعجب والخوف من فوت المطالب المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه
انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد الخير له وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى
انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث انه يستكبر
بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره ومفاخرته نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر
على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز
مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يكون يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته يتوصل بها الى
مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص من نعمة لا يساوى بها واما ان
لا يكون بسبب من هذه الاسباب

السبب الاول

العداوة والبغضاء وهو اشد الاسباب فان
من اذاه انسان بسبب من الاسباب او خالفه في غرضه في وجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه
ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه
احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصاب عدوه بلية فرح وظنه
مكافاة من جهة الله تعالى على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته نعمة من الله تعالى ساءه ذلك لانه ضد مراده
وربما يظهر له انه لا منزلة له عند الله تعالى حيث لم ينتقم من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة
فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما فانما غاية التقي ان لا يبغي فان يكره ذلك من نفسه فاما

ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومسائته فهذا غير ممكن وهذا ما وصف الله تعالى الكفار به اعني
الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ الآيتين
وكذلك قال الله تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم الآية والحسد بسبب البغض وربما
يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري
مجراه السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله
ولاية او علما او مالا خاف عليه ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره
عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه
السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه فيتوقع منه الانقياد
والمتابعة له في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره فيترفع عن متابعته او ربما يتشوف
الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد
اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطي رؤوسنا فقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه ان كان عظيما
وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب
الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم
فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب
رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل
علينا الملائكة وقال او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوات
المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة يكون عونا له
في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة
في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين التوصل الى مقاصد الكرامة والمال ولذلك تحاسد المتلمذين
على الاستاذ الواحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه
ليتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتوجهين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهم
نيل المال من القبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طايفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب
كل واحد منهم منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له السبب السادس حب الرياسة وطلب

الجاه نفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون
اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما فرح به من انه اوحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له في ذلك
فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم
او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة
ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراءه من
آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة فقد كان
علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم
مهما نسخ علمهم **السبب السابع** خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل
برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله عز وجل فيما انعم به عليه شق عليه
ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا
يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من خزانته وملكه ويقال البخيل من
يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل من مال نفسه بمال غيره فهذا يبخل بمال الله تعالى على عباده الذين
ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع الجبلي
ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها
وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته ويستحيل في العادة ازالته فهذه اسباب
الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك
ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة فيظهر العداوة بالمكاشفة
واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقل ما يتجرد سبب واحد منها **بيان السبب في
كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني الاعمام والاقارب وتاكده وقلته
وضعفه في غيرهم** اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى
بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه
يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام
تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه
في غرض من اغراضه نفر طبعه فابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه
ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة

بين شخصين في بلدين متنائيين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن
او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد يتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر
والتباغض ومنه ثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد
العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز بسبب آخر
سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسريته
زوجها اكثر مما يحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد
اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه
الاسكاف بل البزاز ثم يزاحمه البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون
حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر
بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض فكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع
ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده الفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود آخر فاصل
هذه المحاسدات العداوة والتزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين بل
لا يجمع بين متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في
جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي
يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق بين المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق
فيها وانما مثال الآخرة مثال نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانبيائه
وملكوت ارضه وسمائه فلا يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم
الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة
العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة فكذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله
تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى فلا ضيق ايضا عند الله لان اجل ما عند الله
من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم
نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام واذا وقعت في يد واحد
خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر
او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب فرح بالفرح بنعمة الله تعالى لم يمنع
ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل

عن البدل الاخري والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يتحول عن قلبه فان المال
اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية
له ولا يتصور استيفاؤه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله تعالي وعظمته وملكوت ارضه وسمايه صار ذلك
عنده الذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد لان غيره ايضا
لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هولاء في مطالعة عجايب
الملكوت علي الدوام اعظم من لذة من ينظر الي اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف
ومعرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه ملتذ بفاكهة
علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا
ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان اكثر العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين
ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما تظن فيهم عند انكشاف الغطا
ومشاهدة المحبوب في العقبي فاذن لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة
محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا ينال الا بمعرفة الله تعالي التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا
فاهل الجنة بالضرورة برا عن الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة
عليين الي مضيق السجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم عليه السلم علي
ما خص به من الاجتبا ولما دعي الي السجود استكبر وابي وتمرد وعصي فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد علي
مقصود يضيق عن الوفا بالكل ولهذا لا تري الناس يتحاسدون علي النظر الي زينة السما ويتحاسدون
علي البساتين التي هي جزو يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الي السما ولكن السما
واسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلي
نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالي
ومعرفة صفاته وافعاله وعجايب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا
فان كنت لا تشتاق الي معرفة الله تعالي ولا تجد لذتها وفتر عنها رايك وضعفت فيها رغبتك فانت فيها في
ذلك معذور فالعنين لا يشتاق الي لذة الوقاع والصبي لا يلتذ الي الاشتياق بلذة الملك فان هذه لذات
يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الي هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق
لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك يكن مع المحرومين في

اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **بيان الدواء الذي به**
ينفي مرض الحسد عن القلب اعلم ان الحسد مرض من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوي امراض
القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين
وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن
عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت
قضاء الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته
وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك
غششت رجلا من الموحدين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه عليهم السلم في حبهم الخير لعباد
الله وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايث في القلب
تاكل حسنات العبد كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك
فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعمة يفيضها عليهم
ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب
ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال
محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة
ان كنت عاقلا ان تحذر نفسك من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم
بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب الا من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع
يناله مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير فايدة ولا جدوى واما انه لا ضرر على المحسود
في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد
وان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده عز وجل بمقدار ولكل اجل
كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه
فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي
سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود بحسدك ضرر في الدنيا
ولا عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذه غاية الجهل
فانه بلا تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد
لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان كانت تبقى ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على



الايمان قال الله تعالى ودّت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم الآية او ما يريد الحسود لا يكون نعم هو يضل
بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعم عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان
يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذي ساير النعم وان اشتهيت ان تزول النعم عن الخلق بحسدك ولا
تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه
الخاصية فلست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك
تكرهها واما ان المحسود ينتفع به الدين او الدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك
لاسيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا
تهديها اليه اعني انك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة ان كنت تؤمن بالبعث مفلسا محروما
عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم وهم كان الله عليك نعمة اذ وفقك
للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته
في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب
اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة تكون في غم وحسرة وقد فعلت
بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان يطول حياتك لكن في عذاب الحسد لتنظر
الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا وغما ولذلك قيل فيه شعر لامات اعداؤك بل خلدوا
حتى يروا فيك الذي يكمد ولا خلوت الدهر من حاسد فانما الفاضل من يحسد ففرح عدوك بغمك
وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الحسد والمه وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة
وبلية عنده فما انت فيما يلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا اذا تاملت هذا عرفت انك
عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا
والآخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دايمة شئت او ابيت
ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا عدوك لانه
لما راك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك دونك خاف ان تحب ذلك
فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير لاخيه المسلم كان شريكا له في الخير ومن فاته اللحاق
بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف اللعين ابليس ان يحب ما انعم الله
به على عبده من دينه ودنياه فيفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك له كما لم تلحقه بعملك وقد
قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب

وقام اعرابي ورسول الله يخطب فقال متى الساعة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها فقال
ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال انك مع من احببت فقال انس لم يسر المسلمون
بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان يحب الله ورسوله قال انس فنحن نحب الله ورسوله
وابابكر وعمر ولا نعمل بمثل عملهم ونرجوا ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب
المصلي ولا يصلي ويحب الصايم ولا يصوم حتى عدّ اشيا . فقال صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال عمر بن
عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما
فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لكل شيء
مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوّت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك وحملك
على الكراهية حتى تمت وكيف لا وعساك تحسد رجالا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله تع وينكشف
خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على
ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل
الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغضاء والكراهية فانظر
كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدور بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ
على عدوك حسدك على نفسك بل لو كشف بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من
يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه
فيعود فيرميه ثانيا اشد من الاول فيرجع الحجر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا ويرميه
فيرجع على راسه فيشجه والعدو سالم في كل حال والم ضربه اليه راجع مرة بعد اخرى واعداوه حوله
يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا
لان الحجر العايد لم يفوت الا العين لو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت
بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان يبقى له
عين تدخل بها النار فيذهبها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن
المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة
وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تع ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى الغير بعين ما يشتهيه لعدوه
وقلّ ما شمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عايشة ما تمنيت لعثمان شيا الا نزل بي حتى لو
تمنيت لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاخلاق وجحود الحق واطلاق اللسان



واليد بالفواحش في التشفي من الاعدا. وهذا الدا الذي به هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية
فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه يهلك نفسه ويفرح
عدوه ويسخط ربه وينغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد
من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح
والثنا عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف
الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه
ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه فتولد من ذلك بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا
والمدح واظهار السرور بالنعمة تستميل قلب المنعم عليه وتسترقه وتستعطفه وتحمله على مقابلة ذلك
بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا فلا يصدنه
عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز او النفاق او الخوف وان ذلك مذلة
ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا يكسر سورة العداوة من
الجانبين ويقلل مرغوبها ويعود القلوب الى التآلف والتحابب وبه تستريح القلوب من الم الحسد
وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدوا المر فمن لم
يصبر على مرارة الدوا لم ينل حلاوة الشفا. وانما تهون مرارة هذا الدوا اعني التواضع للاعدا والتقرب
اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضا الله وحبا
ما الجنه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما يكون
اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد او بان يريد ما يكون وفوات المراد ذل وخسه ولا طريق الى الخلاص من هذا
الذل الا باحد الامرين اما بان يكون ما يريد او بان يريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف
والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل
هذا هو الدوا الكلي فاما الدوا المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة
الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذه الامراض
ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تنقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكينه وتطفئته ولا يزال
يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده فانه مادام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من
استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه
ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب



اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك لا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان
لا تكرهها حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال يدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال
الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث
يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية
الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة بهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان
الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال
ودوا لو تكفرون وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد
وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال
منها بل هي معصية بينك وبين الله وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا
كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك
تمقت نفسك على ما في طبعها فيكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة
الطبع فقد اديت الواجب عليه فلا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير
الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او ينصب عليهما من
بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب
بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال
العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله وتراهم
مسخرين لكن ذلك لا يدوم فهو كالبرق الخاطف ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى
منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل بكراهية الزمها قلبه فقد ادى ما كلف
به وذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد
فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان
يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهية
تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل على ظاهره ان كل
حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل من حب مساءة المسلمين فهو حاسد
فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل فهو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر

الاخبار والآيات ومن حيث المعنى اذ يبعد اعدائك ان يتفقا عن العمد في ارادته مساءة المسلم
واشتماله بالقلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلثة احوال احدها ان
تحب مسائتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت
لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنك قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه
الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا
الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك
على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه فهذا محل الخلاف والظاهر انه
لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه
تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه والصلوة
والسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما

م

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم رب اختم بالخير

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها
وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم
طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك
الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان
احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة
بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة
فكل متعزز بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها
من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها
عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة
والندم فهي خداعة مكارة وطيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم
عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها واذاقتهم قواتل سمومها
ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت
عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع
ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم تكن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون
كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا
والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اهله واصحابه في الدين
ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا اما بعد فان الدنيا عدوة لله عدوة لاولياء الله
عدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباده ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها
واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في
مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله انها استدرجتهم بمكرها وكيدها وصادتهم بشبكتها حتى وثقوا بها
وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم احرمتهم عن
السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون فلا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا

منها ولا يكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون
واذا علمت غوايل الدنيا وشرورها فلابد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها
وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها
وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف
الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى بيان ذم الدنيا اعلم ان الآيات الواردة في ذم
الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود
بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك ولا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار
الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على
صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة
الكافر وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله عز وجل منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال
صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي
بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكاء وبكا حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم
يقدروا على مسئلته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه
الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلعم
يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة
فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة
الى ان زينتها ستخلق بمثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم
ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت
تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلم لا تتخذوا الدنيا ربا فيتخذكم عبيدا اكنزوا
كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا
يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها
وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا

ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا سطحت لكم الدنيا وجلستم علي ظهرها فلسنا ننازعكم فيها الملوك
والنسا. فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النسا فاتقوهن بالصوم
والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتي يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه
الاخرة حتي يجي الموت فياخذ بعنقه وقال موسي بن يسار قال النبي صلي الله عليه وسلم ان الله جل ثناوه لم يخلق
خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمان بن داود عليهما السلم في موكبه
والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره فمر بعابد من عباد بني اسرايل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله
ملكا عظيما فسمعه سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مومن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب
والتسبيحة تبقي وقال عليه السلم الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلي الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعي من لا يقين له وقال صلعم
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شي والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وفقرا لا يبلغ غنا
ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا
بما فيها قلت بلي يا رسول الله فاخذ بيدي واتاني واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها روس ناس وعذرات
وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الروس كانت تحرص كحرصكم وتامل آمالكم ثم هي اليوم عظاما بلا جلد
ثم هي صايرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم
فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه
العظام عظام دوابهم الذي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا علي الدنيا فليبك قال فما برحنا
حتي اشتد بكاونا ويروي ان الله عز وجل لما اهبط آدم الي الارض قال ابن للخراب ولد للفنا. وقال داود بن هلال
مكتوب في صحف ابرهيم عليه السلم يا دنيا ما اهونك علي الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم
بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والي الفنا يصير قضيت عليك
يوم خلقتك الا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبا للابرار الذين اطلعوني
من قلوبهم علي الرضا من ضميرهم علي الصدق والاستقامة طوبا لهم ما لهم عندي من الجزا اذا وفدوا الي من قبورهم
النور يسعي امامهم والملايكة حافون بهم حتي ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الدنيا
موقوفة بين السما والارض منذ خلقها الله تعالي لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنا اوليايك
نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لاشي اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم عليه السلم



انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك
نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله ملكا يخاطبه فقال قل له اي شي تريد قال آدم اريد ان اضع ما في
بطني من الاذى فقال للملك قل له في اي موضع تضعه اعلى الفرش ام على السرير ام على الانهار ام تحت ظلال
الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لمثل ذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة
واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون
هنة من الليل فاذا عرض لهم شي من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين
بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه
لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي
نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلم لا يستقيم حب
الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي ان جبرئيل عليه السلم قال لنوح عليه السلم
يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها باب دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه
السلم لو اتخذت ثوبا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر
من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد
ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن
زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم
لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم
فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز
لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله عز وجل بذلك ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد
به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فوقعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها
امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده على راسه وقال الهي جعلت لكل
شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء
خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد
في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى عليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها
وما فيها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون
ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا عند الله وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم

يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست بدارك اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم مروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة ابن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله فلما صلى رسول الله انصرف فتعرضوا له فتبسم عليه السلام حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غيرها لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز فنادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح عليه السلام لاكل خبز الشعير بملح جريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام انه حق على الله الا يرفع شيئا في الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في العاقبة ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم



اخوان على دين ما فرق بينا هوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تشاحون في امر الدنيا
ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر الآخرة ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون
بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك لقلوبكم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا
نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه
فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فاتونا
فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتبينون
صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في امركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على
اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون فيها المآتم
وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حال بكم اني لارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم
بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل
ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الآخرة ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته
ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين
على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل
الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا
لتبر تركك لها ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلم ان يا موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر
موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل
دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا الآثار قال علي كرم الله وجهه
من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان
فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال
الحسن رحمه الله اقوام كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال
ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في الدنيا فالقها في نحره وقال لقمان لابنه يا بني ان
الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله
عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طال فكري في هذه الآية انا جعلنا

ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكما انك
لن تصبح في شي من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليلة
وغدا يوم ولا تهلك في اكله وصم الدنيا وافطر علي الآخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل
لبعض الرهابين كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال
فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل ومن يحمد الدنيا لعيش تسره فسوف لعمري
عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها وقال بعض الحكما
كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها ولا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها
منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا
ما يستحق اما ان يزيد واما ان ينقص وقال سفين اما ترى النعم كانها مغضوب عليها وقد وضعت في غير اهلها
وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيًا الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة على محبة
لها لم يعط منها شي الا اراد اكثر وليس لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي
بدار فقال انظر ما اتاكه الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا
وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى برم بالدنيا وطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجي ويأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب
يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا
يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما
للدنيا فيقال هذا عظم ما حقر الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية
والضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل وما المال والاهلون الا ودايع ولابد يوما ان ترد الودايع
وزار رابعة العدوية اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت لهم اسكتوا من ذكرها فلولا موقعها
من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيا اكثر من ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ولا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد اثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع وقيل
اري طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما كبان بنا بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما
وقيل هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال وما دنياك الا مثل في اظلك ثم اذن
للزوال وقال لقمن لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال
مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال



ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين
والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفه فمن اراد منها شيا فليصبر علي معاشرة الكلاب وقيل يا خاطب
الدنيا الي نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان الذي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم وقال ابو الدردا من
هوان الدنيا على الله انه لا يعصي الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له
عن عدو في ثياب صديق وقيل اراقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنا القرون التي كانت منعمه
كر الليالي اقبالا وادبارا يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا هلا تركت من الدنيا معانقه
حتى يعانق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تامن النارا وقال ابو امامة الباهلي
لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن
كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدوا عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في
غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله تبع لهذا وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المومنين صف لنا
الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى
فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال اطول ام اقصر فقيل قصر فقال
حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا
وقال ابو سليمان اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها
الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجوا ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ
قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا
يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قال عيسى عليه السلام
الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احديهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت
الدنيا عليهم اهون من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا ام ذهبت
الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه رحمه ويحسن فيه أله ان
يتنعم فيه يعني لينعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك كله ليوم
فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اقذرها
كما يقذر احدكم الجيفه اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو
عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله
فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفين خذ من الدنيا لبدنك

يجد من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا
وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا
الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت
الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد منها وقال ابن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته
وهو بها راض فذلك المغبون الذي تلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص وهو على المنبر والله ما رايت
قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله ثلث الا والذي عليه اكثر
من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا من خلقها وهو اعلم بها اياكم
وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب
ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضي بدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذها
من حله حوسب بنعمته وان اخذها من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في
دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب
عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض
الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح عجبا
لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعرف
ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها
فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد مولود ويهلك هالك لولا المولود باد الخلق
ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا
املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء
اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما ساله الوقوف بين يديه
وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا
الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت
الغنا قال انما نال الغنا من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه
ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا
ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة
وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه

من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يدعو اما
يمسك السما ان تقع علي الارض امسک الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايتم لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام
الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يوتا به يوم القيمة فيقال ها ان هذا
عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة
عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتد مونة الدنيا والآخرة فاما مونة الآخرة فانک
لا تجد عليها اعوانا واما مونة الدنيا فانک لا تضرب يدک علي شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقک اليه وقال
ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الي يوم يفنيها يا رب يا رب
لم تبغضني فيقول اسكتي يا لاشي اسكتي يا لاشي وقال عبد الله بن المبارک حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته
فمتی يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل الشهوة
تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا
وذهب الي الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع
الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال
لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة
دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين بلسان الحق في
الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الي الخراب صاير
وساكنها الي القبور زاير شملها علي الفرقة موقوف وغناها الي الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار
فيها يسار فافزع الي الله وارض برزق الله لا تستسلف من دار بقايك في دار فنائك فان عيشک في زايل
وجدار مايل اكثر من عملک وقصر من املک وقال ابرهيم بن ادهم لرجل درهم في المنام احب اليک ام دينار
في اليقظه فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانک تحبه في المنام والذي
لا تحبه في الآخرة كانک لا تحبه في اليقظه وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا
خنزيرة فيقولون اليک عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم
الدنيا حتی تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلث من ترک الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره
قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شومها ان تمنيک لها يلهيک عن
طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار
بالتبن وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا

من اقبل علي الدنيا احرقته بنيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل علي الآخرة صفته بنيرانها فصار
سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل علي الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لقيمته قال
علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشيا. مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف
المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات
الحرير وهو نسج دودة. واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال
في مبال واشرف المشمومات المسك وهو دم والله ان المرأة لتزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها
بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا علي مهل وكونوا من الله
علي وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الي الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها
وفتنتكم باماتيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة
والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة
فانها دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها
يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف
ثقيل فهل علي الدواء من دليل وهل الي الطبيب من سبيل فتدعي لك الاطبا. ولا يرجي لك الشفاء
ثم يقال فلان اوصي وماله احصي ثم يقال فلان قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق
عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكي
اخوانك وقيل لك هذا ابوك فلان وهذا اخوك فلان اخوك فمنعت الكلام فلا تنطق وختم علي لسانك
فلا ينطلق ثم حل بك القضا. وانتزعت نفسك من الاعضا. ثم عرج بها الي السما. فاجتمع عند ذلك اخوانك
واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عائدوك واستراح حاسدك وانصرف اهلك الي مالك وبقيت مرتهنا
باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها
لانه يتوقع آفة تعدو علي ماله فتجتاحه او علي جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الي
جسمه فتسقمه او تفجعه بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة
فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفها
بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج علي راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها
ذهاب ما ذهب وبقا ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضي من كل بدلا وكتب الحسن البصري الي عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن لا دار اقامة وانما انزل آدم عليه السلام اليها عقوبة فاحذرها

يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل يذل من اعزها ويفقر من جمعها
فهي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن منها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر
علي شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة المحتالة الخداعة التي تزينت بخدعها وفتنت
بغرورها وحليت بامانيها وتسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب
عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر علي الاول
مزدجر ولا العارف بالله حين اخبر عنها مذكر فعاشق لها قد ظفر بحاجته فاغتر وطغا ونسي المعاد فشغل
فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت تالمه وحسرات
الفوت تغصصه ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم علي
غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان
منها الي سرور اشخصته الي مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها
بالبلا وجعل البقاء فيها الي فناء سرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولي وادبر ولا يدري ما هو آت
فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها علي خطر ان عقل ونظر
وهو من النعماء علي خطر ومن البلاء علي حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا
قد ايقظت النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل
ثناوه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت علي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ولا
ينقص عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف علي الله عز وجل امره او يحب ما ابغضه خالقه
او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر
عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالي بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر علي بطنه ولقد جاءت
الرواية عن الله تبارك وتعالي انه قال لموسي عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا
رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة بن مريم عليهما
السلام كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي
القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس علي
الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث الله عز وجل موسي وهرون عليهما السلام الي فرعون فقال
لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني
ولا يعجبكما ما متع به فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا

لعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها او بتما انفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذ
افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع المهلكة واني لاجنبهم سلوتها
كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن منازل العرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما
موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي
ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاهم
الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفرحون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فلن لهم واخفض لهم جناحك
وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيمة خطب
علي عليه السلم يوما فقال اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون
بها ولا يغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال
وهي بين اهلها دول وسجال لا يدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور
اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما
اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور
واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد
بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة جامدة واجسادهم من بعد طول تقلبها بالية
وديارهم خالية وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار
المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة
متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار
وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلاء واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد
غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها
كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة
في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو كشفت الامور وبعثرت القبور
وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من
سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس
بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه

حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر
يرميك كل يوم بسهامه ويخرمك بلياله وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام
بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي
عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم
لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما يأتي به
من العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف
الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم
يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تغيبه ليلته ويطويه ساعته واحداثه يتوالى على الانسان بالتغيير
والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات واخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى
الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقا
وان كنتم تكذبون به انكم لهلكا انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في داركم
فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا يصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها
فاعملوا لما انتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء وقال عيسى عليه السلم اوصيكم بتقوى الله
والترك للدنيا التاركة لكم ان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها وانما
مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا فكانهم قد قطعوه او افضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري
المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يعيش من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا
تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت
يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب
بان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا
من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما يسد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى
الآخرة بعين انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة بقلوبهم
فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا
قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم بيان صفة
الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف الوفاء تنظر اليها

ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة ذلك مكيدة
الشيطان بل لو اخرجوا عما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الما يقتضي بللا لا محالة
يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة
العبادة قال عيسى عليه السلم الحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب
الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن
نفرت وتصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول
لكم ان الزق ما لم يتخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها
الطمع او تقسيها النعيم فسوف تكون اوعية الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة
وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر
لما بقي من الدنيا وقلتها بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل
ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك ان ينقطع مثال آخر لتاديه علائق
الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلم مثل طالب الدنيا مثل شارب البحر كلما ازداد شربا
ازداد عطشا حتى تقتله مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها
اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات
الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما
ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا وكذلك كل شهوة في
القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان
من نهبت داره واخذ ماله واهله وولده فيكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته فيها
وحبه لها وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت
الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك
وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله
عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم الدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد رايتم
يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن

عاش الى جمعة قال رجل لابن عمر انى اريد ان اسئلك واستحي قال فلا تستحي واسال قال اذا قضى احدنا
حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب
يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال
آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في
اليم فلينظر بما يرجع اليه مثال آخر الدنيا لاهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وحسرتهم
العظيمة بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم
الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى
بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم
توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة
الغريبة وصار يلحظ من بيئته احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة
النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها
فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم
تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت
ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو
متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه
منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع
ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه
وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه
من الانصراف لو اراده فلما بلغه نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على
الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه
حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة فاما من وصل
الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المدرجة فقد استرقه وشغله الحزن لحفظها والخوف من فوتها وقد ضيق
عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهرت رائحتها فصار مع كونه مضيقا
عليه مؤذيا بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاه في البحر هربا منه وقد اثر فيه ما اكل منه فلم ينته الى
الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا فمن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل

فادي بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع الا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن
سالما فهذا امثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم
عن عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت
وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف
عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول
الله عز وجل في تحذيره اياهم غوايل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي
ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد
وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم
رجل في حلة يقطر راسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء
قالوا يا هذا قال على ما انتم عليه قالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا
لا نعصيك شيئا قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم
ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ما
ليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم فقال اكثرهم بالله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير
من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم
في اول حديثه والله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل
مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل
هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد فقدم اليه طبق ذهب
عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به
قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلبه وانشراح
صدره فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها
وينتفعوا بها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه
امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة
ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب وما الذي لا يجتنب فلا بد
وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول دنياك
وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منها تسمى دنيا وهي ما قبل الموت والمتراخي المتأخر

يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا
في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام القسم الاول
ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته
وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه
الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده
من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة
وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف
من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر
فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو
ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة
وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا
الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل للقسم الاول
على الطرف الاقصى وهو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات
الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب
ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي
عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب
امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما يكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا
اتاك كتابي هذا فقد سيرتك واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه القسم الثالث
وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد
الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا
كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل
لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى
التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته

عن ادناس الدنيا والانس بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات
الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا يحصل معرفة الله الا بدوام الفكر
وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب
عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد
تناضل عنه فاذا جاء العذاب من جهة رجله جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة
تدفع عنه الحديث واما الانس بالذكر والمعرفة فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة
وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة
وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوايق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة
جماله فارتفعت العوايق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع امنا
من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل
بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما حال من كان له واحد يوخذ منه ذلك الواحد وليس
الموت عدما وانما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه
الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه
عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا ينال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد
الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاث اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا
وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا
والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض صاحبه للعذاب في الآخرة
ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا
والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب ومن نوقش الحساب فقد عذب
وقال صلى الله عليه وسلم حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت
من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها
ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك
عليه حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة
لا يحيط الوصف بعظمها وينقطع الدهر دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طاير او بالنظر
الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر هذا

من النعيم الذي تسأل عنه اشار الي الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه نظر وخوف وخطر ومشقة وانتظار
وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد
بعسل فاداره في كفه ثم امتنع من شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله
فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى
عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا حتى ان سليمان عليه
السلم كان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة
فان الصبر عن لذايذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا روي انه زوي الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وكان يطوي
اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل
كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد
والحجامة كل ذلك شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو الدنيا وما هو لله فذلك
ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي
يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة
ومعنى ومنها ما صورتها لله ويمكن ان تجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاث
اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى الله واليوم الاخر فهو لله وليست من الدنيا واذا كان الغرض من الفكر
طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة واذا كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال والحمية
لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله ومنها
ما صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء
ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان
كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان
ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف
اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار
قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى
في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل
هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله ليس من الدنيا

وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم هو لغير الله
وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان
الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه فينبغي ان يحذر وبينهما وسايط متشابهة
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء
بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة
تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم وكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها
وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب
حشفا خباه لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى
واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها
الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه
ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموني فتحضر الصلاة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته
ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال ايها الناس من كان منكم من العراق فليقم فقال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان
من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن
فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له
فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى منه
فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر
فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال
عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت الذي نعت لي
فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه
فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله
يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى
بكيت وبكا قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال
لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك
ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك

حين كلمت نفسي نفسك لان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله
وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي
يا رسول الله ولكني رايت رجالا صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي
ان اكون محدثا او مفتيا او قاصا في نفسي شغل شاغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي آية
من القرآن اسمعها منك وادع الي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا
قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال
قال ربي والحق قول ربي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون
حتى انتهى الى قوله انه هو السميع العليم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك
حيان واوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حوا ومات نوح ومات ابراهيم
خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين
رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه فقلت
رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كان قد كان ثم صلى على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم ابن حيان كتاب الله وبقايا
الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت
وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم
فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني
وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان وضم عليه ضيعته
وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين
واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله
ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ولا تسال عني ولا
تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وتراني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله
وانطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت
انظر في قفاه حتى دخل في بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله
وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت فيما سبق في بيان الدنيا من سير الانبيا

والاولياء ان حد الدنيا كلما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهي
كلما اريد به الله عز وجل مما يوجد بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله فذلك ليس من الدنيا ويتبين
هذا بمثال ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل تجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل
وخرز الراوية وكلما لابد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع
بها مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا
نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاشياء كان متحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال
الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا ينادي
وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في
حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها
شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا
عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض
فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة
اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها
الآدمي للآلات والاواني كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان
فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب
الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب
قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب
الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على
غيرها من اللآلي واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات
والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات
القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب
التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع

البدن وهو اشتغاله باصلاح الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق
مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم وماابهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب
وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان الاعيان التي سميناها
دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي تسير بها الى الله واعني بالدابة البدن فانه لا يبقا الا بطعم وملبس ومسكن
كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه لنفسه ومقصده مثال الحاج
الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها
انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مسير القافلة وعن بقايه
في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه امر الجمل الا القدر يقوى به على المشي فيتعهده
وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد
البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من
البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما يشغل
الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه
الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم بجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها بالبعض وتداعت الى غير نهاية محدودة
فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها
وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف
انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق منكبين
عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاثة القوت والمسكن والملبس القوت للغذاء
والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق
الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهايم فان النبات
يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يوثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها
فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة الى ذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات
واوايل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة
وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب
والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله تعالى من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات

والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنعة آدمي ويعني بالاقتناص
ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الي ادوات وآلات كالحياكة والخياطة
والبناء والاقتناص والالات انما توجد اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص
وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الي ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز
وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجارة كل عامل علي الخشب كيف ما كان وبالحدادة كل من عمل علي جواهر المعادن
حتي النحاس والابرة وغيرها وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل علي
جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر
الي الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الي النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك
الا باجتماع الذكر والانثي وعشرتهما والثاني التعاون علي تهيئة اسباب المطعم والملبس وتربية الولد وغير
ذلك فان الاجتماع يفضي الي الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه
الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد
بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولي الفلاحة وحده وهو يحتاج الي آلاتها وتحتاج الآلة الي حداد
ونجار ويحتاج الطعام الي طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الي حراسة القطن
وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الي الاجتماع ثم لو اجتمعوا
في صحراء مكشوفين لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الي ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما
معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع الجيران عن اللصوصية ولكن المنازل قد تقصدها
جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الي التناصر والتعاون والتحصين بسور يحيط بجميع
المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات
اذ تحدث رياسة وولاية للزوج علي الزوجة وولاية الابوين علي الولد لانه ضعيف محتاج الي القوام به ومهما
حصلت الولاية علي عاقل افضي الي الخصومة بخلاف الولاية علي البهائم اذ ليس لها قوة الخصومة وان ظلمت واما المرأة
فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون
فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون علي المراعي والاراضي والمياه
وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة لعمي او مرض وهرم وتعرض
عوارض مختلفة لو ترك صاحبها لهلك ولو وكل بتفقده الي الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب لكان
لا يذعن فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخري فمنها صناعة المساحة التي

بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم
ومنها صناعة الحكم والتوصل الى فصل الخصومات والتوسط بينهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون
ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تم في المعاملات وشروطها
فهذه امور سياسة لابد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التميز والعلم والهداية واذا
اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد
بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت
البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت
او تصرف اليهم الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح
وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى
الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين
وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه
الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعسكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم
ضابط انخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به
ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب
الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح
وبعد الملك الذي يرى فيهم بالعين الكالئة ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولاء ايضا محتاجون
الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج
وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم
بالسيوف والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر
كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح منها باب
الا وينفتح بسببه عشرة ابواب آخر وهكذا على التوالي فهذه الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال
والآلات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان
اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت
والاته ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس
آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة والحداد والنجار

فسكان قرية لا يمكن بها الزراعة بالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الي الفلاح فيحتاج كل واحد الي ان
يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح
الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الي الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام
ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيعوق الاغراض فاضطروا الي حانوت يجمع آلة كل صناعة
ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والي ابيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد
ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص
من الباعة فيخزنونها في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث
لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون
ويعيشون به لتنتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد فيها كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام
والبعض يحتاج الي البعض فيحوج الي النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال
فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم
اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظام البلاد ومصلحة العباد بل جميع
امور الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت
المعايش ولو بطلت لهلكوا وهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج
الي دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين صاحب الدابة تسمى الاجارة
ويصير الكري نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الي النقدين فان من يريد ان
يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة
كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل
احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الي مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى
الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الي الضرب والنقش والتقدير
فحدثت الحاجة الي دار الضرب والي الصيارفة فهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الي بعض حتى انتهى
الي ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب
في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب
لعجزه عن الحرف فيحتاج الي ان يأكل مما سعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية
اذ يجمعهما انهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم

فاضطروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يده
شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل
اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة اما ان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص
الحادثة بحسب ما ينتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له
اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى فاضطروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر
لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا
بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك
محنة اصابته من غير استحقاق ليكون ذلك سببا للرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها
حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد
زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار
الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه
تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق
من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات
والحشائش التي يخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل
في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علم وكان غرضهم استمالة قلوب
العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنباط تدقيق الفكر لاجل المعيشة
فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا
في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها
زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطائفة
غلبتهم الغفلة والجهل فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا
فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلون
وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس لهم تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل
ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم
تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتعب في الدنيا بل السعادة في ان يقضي
وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان

وجمع لذايذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن
الله واليوم الآخر وطايفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكنز الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم
في جمعهم يسعون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون
الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الي ان يدركهم الموت فيبقي تحت
الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين يجمعون
ينظرون الي امثال ذلك ولا يعتبرون وطايفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء
والمدح بالتجمل والمروة فهولاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون علي انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون
جميع مالهم الي الملابس الحسنة والدواب النفيسه ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتي يقال
انه غني وذو ثروة وطايفة اخري ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع
والتوقير فصرفوا همتهم الي استجرار الناس الي الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم
بها علي طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان
ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات علي قلوب المتغافلين من الناس فهولاء شغلهم حب تواضع الناس
لهم عن التواضع لله تعالي وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هذا طوايف يطول حصرها
يزيد علي نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الي ذلك حاجة المطعم والملبس
والمسكن فنسوا ما يراد له هذه الامور الثلثة والقدر الذي يكفي منه وانجرت لهم اوايل اسبابها الي
اواخرها وتداعت بهم الي مهاوي لم يمكنهم الترقي منها فمن عرف وجه الحاجة الي هذه الاسباب والاشغال
وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه
وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتي لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت
الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الي الاستعداد له وان تعدي به قدر الضرورة
كثرت الاشغال وتداعي البعض الي البعض وتسلسل الي غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت
به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه
لذلك طايفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتي انقسموا الي
طوايف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في
الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من الدنيا ومحنتها واليه ذهب طوايف من
الهند فهم يتهجمون علي النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاصهم من سجن الدنيا وظنت

طائفه اخرى ان القتل لا يخلص بل لابد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة
في قطع الشهوة والغضب فاقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم
فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان
ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله
مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك
الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن
عن عبادة العباد وظن طايفه اخرى ان المقصود من العبادة المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله
فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصال يستغنى عن الوسيله والحيله فتركوا السعي والعبادة وزعموا
انه ارتفع محلهم في معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة
وضلالات هايله يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهو ما كان
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا
فيوخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل
شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا
ويحفظه على حد مقصوده فيوخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص
والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه الهمة واشتغل بالذكر
والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل
ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه صلعم لما قال الناجي منها واحد قالوا يا رسول
الله من هم قال اهل السنة والجماعة فقيل ما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج
القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون من الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون
ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين
الطرفين وهو احب الامور الى الله تع لما سبق ذكره في مواضع

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه والسلم على
محمد خير خلقه وسلم تسليما كثيرا

كتاب ذم المال والبخل

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد الياس والقنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق
وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردهم فيها بين العسر واليسر والغنى
والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح
بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا باليسير واستحقار
الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم اثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا
واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله
واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان في الدنيا كثيرة الشعب والاطراف
واسعة الارجاء والاكناف لكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت
فلا سلامة منها فان فقدت حصل منها الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجدت حصل منها الطغيان
الذي لا يكون عاقبته الا الخسران وبالجملة فالدنيا لا تخلو من الفوايد والآفات ففوايدها من المنجيات
وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذووا البصاير في الدين من
العلماء وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم
على الانفراد فان ما ذكرناه في ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ
عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم
الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كلما للانسان فيه حظ عاجل
ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوايل وللانسان من فقدها صفة الفقر ومن
وجودها وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة
والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات
مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح والانفاق واحديهما مذمومة
والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف
الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه في فصول وهي اربعة عشر فصلا وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل
فوايد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم

البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم مجموع الوظايف في المال ثم ذم الغنا ومدح
الفقر بيان ذم المال وكراهة حبه قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم الآية وقال
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقال الهيكم التكاثر حتى
وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق
كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلم ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب
المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به من عباد الله
هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنيا، وقال صلى الله عليه وسلم سياتي
بعدي قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجامل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب
والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين
على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الاههم وربا دون ربهم الى امرها ينتهون
وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم ومخلف خلفكم ان لا
يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام
وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر
وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت
او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم قال قدم
مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه
وسلم اخلا ابن آدم ثلثه واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي الى
قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى
عليه السلم مالك تمشي على الما ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن
قال لكنهما والمدر عندي سوا وكتب سلمان الى ابي الدردا يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي
شكره فاني سمعت رسول الله صلعم يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما
تكفى به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجا بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله
بين كتفيه كلما تكفى به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعوا بالثبور
والويل وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال
ولا نطول بتكريره وكذلك كلما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان

الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم
وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الآثار روي ان رجلا
نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف
رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه
درهما على كفه وقال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت
جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان
لها فقطعته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر
بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم
احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما
وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون
بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك
سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها
من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا
كلها اذ يتوصل بهما الى الجميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل اني وجدت فلا تظنوا غيره
هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقيل
لا يغرنك من المرء قميص رقعه وازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه
وروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت
صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك وليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد
فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم
حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله والله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله
فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك
قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي وروي ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب
بشر وتترك اولادك بخير فاخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع
الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله
بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال

ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في ثواب الصدقة والحج
فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا
وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله
حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث انه شر فانه
ليس بخير محض ولا شر محض بل هو سبب الامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن
البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات
وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة
التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث
وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة
والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة
اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان
لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة
ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم
والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن
البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق فمن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال
ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة
كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس
لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود
صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة
وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم محمود
بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد
اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان
مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانسان من شره حتى قال نبينا صلعم

اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا محض خير وقال اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واستعاذ ابرهيم الخليل صلوات الله عليه فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعن بعض الناس
انه عني به هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية
في شيء من الحجارة وانما عني بعبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد
حجرا فهو عابد صنم بل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك لان الشرك شركان شرك خفي لا
يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب
الخلود في النار **بيان تفصيل آفات المال وفوائده** اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق
ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر
منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها
مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لما تهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة
انواع **النوع الاول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في
العبادة فكالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم
عن فضلها واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات
المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل
الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية
ولا يدخل في هذا التنعم على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى
الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها انها
لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروءة فنعني به صرف المال الى الاغنياء والاشراف في
ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا
ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء
ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة وهذا
ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير
اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب
السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال عم

ما وقي به المرء عرضه فهو له صدقة وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من
كلامه من العداوة التي تحمل على المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشرع واما الاستخدام فهو ان الاعمال
التي يحتاج اليها الانسان لها اسباب كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل
الآخرة بالفكر والذكر اللذين هما اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة
نفسه من شري الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكلما يتصور ان يقوم به
غيرك ويحصل غرضك وانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور
ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل
به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك
من الاوقات المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدائمة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين
الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من
الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء
والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية فاما الآفات فدينية ودنيوية
اما الدينية فثلاثة الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين
المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته
فاذا استشعر القدرة عليه انبعث والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان
اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في الشدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة
الضراء الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان
يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذايذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلم
في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر
عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم
الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه
ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويعصي
الله في طلب رضاهم فان سلم انسان من الآفة الاولى وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذا اصلا
ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة
والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا تخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح وكل ذلك

يلزم من شوم المال والحاجة الي حفظه واصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح
ماله عن ذكر الله تعالي وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلم في المال ثلاث
ان ياخذه من غير حقه فقيل ان اخذه من حقه قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال
يشغله اصلاحه عن الله تعالي وهذا هو الدا العظال فان اصل العادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى
والفكر في جلاله ويستدعي قلبا فارغا وصاحب الصنعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته
وخصومة الشركا ومنازعتهم في الما والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج ومخصومة الاجرا
في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا
في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر
اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف
اليه وفي كيفية حفظه في الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا
لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جمل الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه
ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في
حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الي الخيرات وما عداه سموم وآفات
بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس عما في ايدي الناس اعلم ان الفقر
محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير
ملتفت الي ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة
من المطعوم والمشروب والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الي يومه او الي شهره
ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوق الي الكثير او الي طول الامل فاته عز القناعة وتدنس
لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الي مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات
الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب
ويتوب الله علي من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله عليه السلم اذا اوحي اليه اتيناه
يعلمنا ما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة
وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان
يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله علي من تاب وقال ابو موسى

الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ولو ان
لابن آدم واديين من مال لتمنا واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال
صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال عليه السلام يهرم ابن آدم ويشب
منه اثنان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه جملة الآدمي نصله وعززه مهلكه اثنى الله
ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال
صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في
الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى
ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال اي عبادك
اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله
واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز
من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس
وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب الناس ما تحب لنفسك تكن مومنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني
واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدث نفسك بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس
في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية
او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله
فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قايل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا والصلاة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض
اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه الا [illegible] قال عمر رضي الله عنه
ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من يايس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما
الغنى قال قلة عنك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر وكان محمد بن
واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال دنياكم ما لم تبتلوا بها
وخيرها ابتليتم بها ما اخرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل

بكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل
لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله
عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت
وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا
يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني
امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني
منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن
الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنع واصبرهم
على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد قيل
ارفه ببال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون ليس يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق في دهره شيئا يؤرقه وقيل حتى متى انا في حل وترحال
وطول سعي وادبار واقبال ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي بمشرق الارض طورا ثم مغربها
لا يخطر الموت من حرصي على بالي ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال وقال عمر رضي الله عنه
الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي
بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا اوضعهم والله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في هذا
القدر هل هو زيادة على الكفاية التي يجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب
ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته فكانما ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد
نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد
ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال
هن خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا
صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات
الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني
لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرين مثقالا قال فعض على شفتيه ثم تلهف وقال هات
الثالثة قالت انت قد نسيت اثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فات ولا تصدقن

بما لايكون انا لحمي ودمي وريشي لايكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي دريان في كل واحدة عشرون
مثقالا ثم طارت وذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يتقدر ما لايكون
وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك قال
ابو محمد اليزيدي دخلت علي الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة
اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزاين بني امية فاستحسنتها وقد اضفت
اليهما ثالثا شعر اذا سد باب عنك من دون حاجة . فدعه لاخرى ينفتح لك بابها . فان قراب البطن يكفيك ملؤه
ويكفيك سوآت الامور اجتنابها . ولاتك مبذالا لعرضك واجتنب . ركوب المعاصي يجتنبك عقابها . وقال
عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب
الحوايج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره
النفس في هذا وفي هذا حتى لاتحب ان يفوتها شيء ويكون لك الي هذا حاجة والي هذا حاجة فاذا قضاها لك
خرم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته
اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم تكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة
حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء ايام الدنيا لم يكن
في قوى خلقته من الحرص علي الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد
مررت براهب فقلت من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا هو ياتيها بالطحين ما او ما
بيده الي رحا اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول
وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد علي نفسه ابواب
الخرج ما امكنه ويرد نفسه الي ما لابد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعة بل ان كان وحده
فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه
وان كان له عيال فيرد كل واحد الي هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في
الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلث منجيات
خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا
راى ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلعم

الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة
وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا
اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور الثاني انه اذا
تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر
الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لابد وان ياتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب
لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك
لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار ربما تمرض ربما تعجز
وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يعتبه في الطلب خوفا من الفقر ويضحك عليه في
احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم تعب في ثاني الحال ربما لا يكون وفي مثله قيل
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لا تياسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه
الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكون وما يرزق
ياتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد في
الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى
في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من
حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال سفيان
اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقد الضرورة بل يلقي في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه
رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال بورود الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال
لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن اعجله قبل اجله
ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيء منها هو لغيري فذلك لم اناله فيما مضى ولا ارجو فيما بقي يمنع الذي
لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع
تخويف الشيطان عليه وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع
والحرص من الذل فاذا تحقق ذلك عنده انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو عن تعب
وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه
احد وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمآثم ثم تفوته عز النفس والقدرة

على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس ولا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة
وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه
وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت
نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره الرابع ان يكثر تفكره في تنعم اليهود
والنصارى واراذل الناس والحمقاء من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء
والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وساير الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير
عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق وعلى الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون
عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع
فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي
به لم يساهمه الا الاولياء والانبياء الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال
وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه من آفات
المال ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسماية عام فانه ان لم يقنع بما يكفيه الحق بزمرة الاغنياء
واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا
يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس
ويصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف
الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عليهم قال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان
انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور
يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام
قلايل ليتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء اعلم ان المال وان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة
الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل
فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ان السخاء
شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدلية الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال
جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبرئيل عليه السلم قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه

الا السخا. وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشه قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على السخا. وحسن الخلق وعن جابر قال قيل
يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان
يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخا
واما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسو الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوايج الناس
وروي المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال
ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم السخا
شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن
كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال
النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت
فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم غضبي وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم
الطعام الملايكه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسل عن الاسلام شيا الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشا
كثير بين جبلين من شا الصدقه فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا
يخشى الفاقه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعمة لمنافع العباد
فمن بخل بذلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب يا رسول الله الرب
واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلام نزل علي جبريل فقال اقتل
هولا واترك هذا فان الله تعالى يشكر له سخاه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل
السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دوا وطعام البخيل دا
وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت موونة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المونة عرض
تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شي لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف
وقالت عايشه قال رسول الله صلعم الجنه دار الاسخيا وقال ابو هريرة قال رسول الله عليه السلام ان السخي

قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الي الله من عابد بخيل وادوا الداء البخل وقال النبي صلعم
اصنع المعروف الي من هو اهله والي من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب
اهله فانت اهله وقال صلي الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم
المعروف وحبب اليهم فعله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الي البلدة
الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما وقا به المرء عرضه
فهو له صدقة وما انفق الرجل نفقة فعلي الله خلفها وقال صلي الله عليه وسلم كل معروف صدقة
والدال علي الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلي الله عليه وسلم كل معروف جعلته الي غني او فقير صدقة
وروي ان الله تعالي اوحي الي موسي صلي الله عليه وسلم لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلعم
بعثا وامر عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس سبع ركايب فحدثوا رسول الله صلي الله عليه وسلم
بذلك فقال عليه السلم ان الجود لمن شيمة اهل البيت قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا
فانفق منها فانها لا تفنا واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقا وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة
فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرا ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسال
معوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحوزه نفسه وحسن
قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام والكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما
الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل والرافة بالسايل مع بذل النايل ورفع رجل الي الحسن
بن علي رقعة فقال لحاجتك مقضية فقيل يا ابن بنت رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب
فقال يسلني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتي اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك
بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسيل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل سفهنا واعطا سايلنا
وعفا عن جاهلنا وقال علي بن الحسين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يسدي
حقوق الله تعالي في اهل طاعته ولا ينازعه نفسه الي حب الشكر له اذا كان يقينه ثواب الله تعالي تاما
وقيل للحسن البصري ما السخا قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل
فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل
ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني ليم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار
والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل

الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلاً في يده درهم قال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال له اما انه ليس لك
حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل انت للمال الذي امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء
الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا امرأة ضعيفة اعطاها شيئا. وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى
الحسين ابن علي عليهما السلم يعيب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقا العرض وقيل
لسفين بن عيينة ما السخا فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وقال لقد ورث ابي خمسين الف درهم
فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بالدنيا
وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من
كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت اياديّ عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل
امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده على مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة
كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ليدخل منهم راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد
الله بن جعفر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصنعت صنيعة فاعمل بها
لله او لذوي القرابة اودع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين لبخلان الناس ولكن امطر المعروف
مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا حكايات الاسخيا
روي عن محمد بن المنكدر عن ام ذروة وكانت تخدم عايشه رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال
في غرارتين ما بين الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هاتي فطوري
فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام ذروة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر
عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتا
وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوا حتى ملوا عليه الدار فقال عبد الله ما هذا
فاخبر الخبر فامر عبد الله بشرا فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى
وضعت الموايد فاكلوا حتى صدروا فقال عبد الله لوكلائه اموجود كل ما اردت مثل هذا فقالوا نعم قال
فليتغدوا عندنا هولاء كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين
بن علي لاخيه الحسن عليهما السلم لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولابد
من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه بعير عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا
وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن
محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون

على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخا وحيا فاما السخا فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحيا
فهو الذي يمنعك تبلغنا ما انت فيه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك
وان لم يكن اصبت فجنايتك على نفسك وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن
الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتح ارزاق العباد بازاء العرش
يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله
لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف وسال رجل الحسن بن علي حاجة
فقال له يا هذا حق سوالك اياي اعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما
انت له اهل والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني
موونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن بنت رسول الله اقبل واشكر العطية
واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل
من الثلث مائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار فقال هي عندي قال فاحضرها
فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداءه لكرى
الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجوا ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء
البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنا كل واحد منا ان تكون مثله وقد
زوج ابنة له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم
وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اذ اعطيناه
ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل
مومنا عن عبادة ربه وما بنا من التكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما
اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال
محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي
نسايه وقيمتها خمسمائة الف الف درهم فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها
عن حقوقهم الى من لم تنله وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل حق علي بن ابي طالب لما وهبت لي
غلتك بموضع كذا قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو يزيد
احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع
علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى

دفعت اليه العشرة الاف درهم واخرج ابو يزيد من السجن وكان معن بن زائدة واليا على العراقين بالبصرة
فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل
الامير معن البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل
بستان معن وكان معن على راس الماء فلما ابصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب
ايا جود معن ناج معنا بحاجتي . فما لي الى معن سواك شفيع . فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقيل له
كيف قلت فقال فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها
من تحت البساط وقرا ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف
ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعي بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن
حق علي لو اقام ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي دينار ولا درهم وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين
وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب
فقالت نعم فاناخوا اليها وليس عندها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا
ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيي لكم ما تاكلون فقام اليها
احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر
من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون لك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها
فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال
ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان
بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالسا على باب داره فعرف العجوز
وهي منكرة له فبعث الحسن غلامه ودعى العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك
يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتري لها من شاء الصدقة الف
شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك الحسن اخي
قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر
فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار
وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف دينار واربعة الاف شاة وخرج
عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال
له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان

اطار بعمائك مكرون فاخذ عبد الله سيده وسار معه الي منزله ثم عاد بالف دينار فدفعها الي الغلام وقال
استوفق هذه نعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤا الي قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا
عند قبره وكانوا جاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في النوم وهو يقول
له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان قد خلف السخي الميت نجيبا معروفا به وكان لهذا الرجل بعير سمين
فقال في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الي بعيره فنحره في النوم
فانتبه الرجل من نومه بعد الدم من نحر بعيره فقام الرجل الي بعيره فنحره وقسم لحمه وطبخوه وقضوا حاجتهم
ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان
منكم ما سمي ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه
بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني
فادفع نجيبي الي فلان وسماك وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق
قد اقعده الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة
الف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك
قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر بن خالد بن عقبة
بن ابي معيط داره التي في السوق بسبعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد فقال
ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم واعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون
الرشيد الي مالك بن انس رضي الله عنه خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار
فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون واستحضر الليث وقال اعطيته
خمسمائة دينار واعطيته انت الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي في كل يوم من غلتي الف
دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم يجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم الف
دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل له انها طلبت منك يسيرا
فامرت لها بهذا فقال انها سالت على قدرها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد
لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي وكان
خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان
منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة
اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني

عنك خصال تحدثني بها فقال هي من عند غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير
المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني
عليهم ولا نصب لي رجل وجهه فسالني شيا فاستكثرت شيا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد
على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيا كتب لمن ساله الصكاك على نفسه حتى
يخرج عطاوه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت شعر اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان
ثم قال دني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة
فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم امر مناديا فنادى من كان لقيس عليه حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وعن
ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة
ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر
لكل من صلى في مسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ
يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة قال كان بمصر رجل عرف بانه يجمع للفقراء شيا فولد لبعضهم ولد قال فجئت
اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشي فجاء الى قبر رجل وجلس
وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي ثم قام
واخرج دينارا وكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح بشي قال فاخذته وانصرفت
فاصلحت ما اتفق لي به فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه قال سمعت جميع ما قلت وليس
لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة
دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة عليهم فقالوا له اجلس
وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو
يتنعم ميتا ونحن لا نتنعم احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ
منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا تصدق بها
على الفقراء قال ابو سعيد فلا ادري اي هولاء اسخى وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال مروا فلانا
يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ايتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رحمه الله
سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال
ابو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة

من احقاده. ورويهم فرايت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثر في الخير اليه فظهرت بركته فيهم مستدلا
بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابي سليمان لشئ بلغني عنه انه
كان راكبا حمارا فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام
الخياط اليه يسوي زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه في قلتها وانشد
الشافعي لنفسه شعر يا لهف نفسي على مال اجود به . على المقلين من اهل المروات . ان اعتذاري الى من جا يسالني
ما ليس عندي من احدى المصيبات . وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي رضي الله عنه
فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي رحمه الله
من صنعاء الى مكة بعشرين الف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة ونثرها على ثوب ثم اقبل على
كل من دخل اليه يقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ وعن ابي ثور قال
اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قل ما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا
المال ضيعة يكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني
ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ينزلون فيه
وانشد الشافعي رضي الله عنه شعر ارى نفسي تتوق الى امور . يقصر دون مبلغهن مالي . فنفسي
لا تطاوعني ببخل . ومالي لا يبلغني فعالي . وقال محمد بن حماد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بمائة الف
درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر به المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير
المومنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله
فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى
ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله
ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه شعر
ان حراما قبول مدحتنا . وترك ما نرتجي من الصفد . كما الدنانير والدراهم في . البيع حرام الا يدا بيد
فلما وصلت الى ابرهيم البيتان قال لصاحبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة
فكتب اليه شعر اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم نقلل . فخذ القليل وكن كانك لم تقل
ونكون نحن كاننا لم نفعل ويروى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان
يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك وقالت سعدى
عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت مالك قال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع

فقال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السايل ليأتيني فيسالني فكانما يستقبلني بشعلة من النار
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن
والمقام ثم صليت الف الف عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك
الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون قال ابن عباس لما خلق الله تعالى
جنة عدن فقال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور
وعين التسنيم يتفجر منها في الجنان واظهر انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك
وحجالك وكراسيك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال
الله تعالى وعزتي وجلالي لا اسكنتك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخل لو كان البخل قميصا
ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نصبر قال
محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم
وقال علي عليه السلام في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح
هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده
وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهندي وفيلسوف
الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة
متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره
لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه وقال
الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيله
فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا
ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا
في عينه وكانما يرى بالسايل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لانه
يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون
الامانة وقال علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال
الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا

عينيه له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة
قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على
قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يا القلب الاسخياء الاحباء ولو كانوا فجارا وللبخلا
الابغضاء ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلم
ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس
الي المومن البخيل وابغض الناس اليّ الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق
السخي اخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا انك يحيى ما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه
فاكثر فجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله
لطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض
وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطا التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل
تحسن من القرآن شيا قال نعم فقرا والزيتون وطور سينين فقال واين والتين قال هو تحت كسائك
ودعي بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت
العود وقال له بحري اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن
برمك كان بخيلا قبيح البخل فسال نسيب له كان يالفه عنه وقال له صف مايدته فقال هي فتر في فتر
وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال افما ياكل معه احد قال
بلى الذباب فقال له سوءة لك انت خاص به وثوبك مخرق قال لا اي والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو
ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهما السلم
يضمنون عنه ابرة وسالوه اعارة اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل وقيل كان
مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا منه على نفسه حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له
راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره
وامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس
ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا
ودماغه لونا ولسانه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي
فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي

ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشتري لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الي القصاب بنقصان
دانق وقال اكره الاسراف وكان الاعمش حائكا وكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت
كسرة وملحا فيابا عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله
فقرب اليه كسرة وملحا فوقف سايل بالباب فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسئلة فقال له
بورك فيك فاعاد السوال ثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش قال
اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيدا منه منذ مدة هو يعدني علي كسرة وملحا فلا والله
ما زادني عليهما **بيان الايثار وفضله** اعلم ان السخاء والبخل كل واحد منهما ينقسم
الي درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة
عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة ينتهي الي
ان تسخو علي غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الي ان يبخل علي نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك
المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا
لاكله فهذا يبخل علي نفسه مع الحاجة وذاك يوثر علي نفسه غيره مع حاجته الي ذلك فانظر ما بين
الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء
وقد اثني الله تعالي علي الصحابة فقال ويوثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلعم
ايما امرئ اشتهي شهوة فرد شهوته واثر علي نفسه غفر له وقالت عايشه رضي الله عنها ما شبع
رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتي فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر
علي انفسنا ونزل برسول الله صلي الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيا فدخل عليه رجل
من الانصار فذهب به الي اهله فوضع بين يديه طعاما وامر امراته باطفا السراج وجعل يمد يده
الي الطعام كانه ياكل حتي اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم
لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الي ضيفكم ونزلت ويوثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة
فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالي والايثار اعلي درجات السخاء وكان ذلك من داب رسول
الله صلي الله عليه وسلم حتي سماه الله تعالي عظيما فقال وانك لعلي خلق عظيم وقال سهل بن
عبد الله قال موسي عليه السلام ارني بعض درجات محمد صلي الله عليه وسلم وامته قال يا موسي انك
لن تطيق ذلك لكن اريك منزلة من منازله عظيمة جليلة فضلته بها عليك وعلي جميع خلقي قال
فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الي منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل

قال يارب بماذا بلغت به هذه المنزلة قال بخلق اختصصته من بينهم وهو الايثار ياموسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشا ، وقيل خرج عبد الله بن جعفر عليهما السلام الى ضيعة له فنزل علي نخيل قوم فيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى بالثاني والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب به جا من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخا ان هذا لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيهما من الالات فاعتق الغلام ووهبها منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى اخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي عليه السلام علي فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبريل وميكاييل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر صاحبه حياته فاختار كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي ابن ابي طالب اخيت بينه وبين محمد عليه السلام فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكاييل عند رجليه وجبريل عليه السلام ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملايكة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله روف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيفا وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تبلغ جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيا ايثارا لصاحبه علي نفسه وروي ان شعبة جاءه سايل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من ما وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار بيده اي نعم واذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيته فاذا هو قد مات فرجعت الي هشام فاذا هو قد مات فرجعت الي ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا

فما تاتيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا
كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عالى وقعدنا فلما نظر
الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد
ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة
وبقي العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي على
العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء فيه في كتاب الفقر
والزهد فلا نعيده بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما لعلك تقول عرف بشواهد الشرع
ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا
وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول
قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حب المال
ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل
واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى البخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب
الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل
منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا للقصاب
والخبز الى الخباز بنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من سلم الى عياله
القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن
كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو
الذي يستصعب العطية وهذا ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل
لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب اليها ويستصعب ما فوقها وان اريد انه يستصعب
كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب اليها وما يستصعب ما فوقها
وان اريد انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق
جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقالوا الجود عطاء بلا
من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على روية التقليل وقيل الجود
السرور بالسائل والفرح بالعطاء بما امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله
تعالى فيعطي عبد الله مال الله تعالى على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو

صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة
فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل
والجود بل اقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف
الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل
وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل
حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود فينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط
والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه
ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها
فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه
الى ما يجب صرفه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول
الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع
ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع
اداء الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها لكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف
والذي ييمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل
واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك
يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة
ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع
الجار والصاحب ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل
منه في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة
من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء
الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة
من صديق او اخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب
وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة

وكذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال
فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال فالمضايق
في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهي
ان يكون الرجل ممن يودي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات
والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا
لدرجاته في الآخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس بخل عند عوام الخلق وذلك
لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام
ايضا سمت البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها
ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه في دينه
واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللايقة فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة
الجود والسخا ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل
المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه عليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما يتسع له نفسه من قليل
او كثير ودرجات ذلك لا ينحصر في العادة وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه
العادة والمروة وهو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفسه ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او
مكافاة او شكر وثنا فان من طمع في الشكر والثنا فهو بياع وليس بجواد فيشتري المديح بماله والمدح لذيذ
وهو مقصود في نفسه والجود بذل الشي من غير غرض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى
فاما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا ثواب الآخرة
او اكتساب فضيلة الجود وتطهيرا لنفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف
من الهجا مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود
لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اغراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن
بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله
عن مسله فقالوا لها سل عما شيت واشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخا عندكم قالوا
العطا والبذل والايثار قالت هو السخا في الدنيا فما السخا في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه
انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا الحسنة
عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شي سخيتم عليه قالوا فما السخا

عندك يرحمك الله تعالى قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله مشمرين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون
على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله تعالى ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها
انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات ايضا احسب ان السخاء في الدرهم
والدينار فقط قيل نعم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي رحمه الله السخاء في الدين ان تسخو
بنفسك تتلفها لله عز وجل وتسخو بقلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله سبحانه سماحة من غير اكراه لا تريد
بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك
الاختيار على الله عز وجل حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن تختاره لنفسك **بيان علاج
البخل** اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها
الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج
اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول
الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة
مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني
ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته في نفقته
ويفضل الاف وهو شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند
المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو
يعلم انه يموت فتضيع او يأخذها اعداؤه ومع هذا لا تسمح نفسه بان يأكل او يتصدق وهذا مرض
للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه مثاله رجل عشق شخصا فاحب
رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة
لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية
الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته
والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات
بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع
المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد
لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب
هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين بماله على معصية الله

وترجح مطلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما
توعد الله به علي البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في احوال البخلاء ونفرة الطبع
عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم
انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل ساير البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر
في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان
يحصل ثواب بذله فهذه ادوية نافعة من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له
من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي
ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن
البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الي فلان فقال هلا صبرت
حتى تخرج قال لم امن علي نفسي ان يتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل
تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر
عليه مدة تسلا عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله
بل لو رماه في الماء كان اولي به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطايف الحيل فيه ان يخدع نفسه
بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل علي قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود
فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك علي الرياء
ويزيله بعلاجه ويكون قد طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلي الصبي
عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلا واللعب ولكن لينقل عن الثدي اليه ثم
ينقل عنه الي غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها علي بعض كما يسلط
الشهوة علي الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب علي الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا
مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه
محبوبا عنده كالمال فلا فايدة فيه فانه يقطع علة ويزيد في اخري مثلها الا ان علامة ذلك ان لا
يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء
فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل علي ان مرض البخل اغلب علي قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها
ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزايه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددهم
ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين عظيمتين قويين ثم لا يزالا يتقاتلا الى ان يغلب احدهما

الاخرى فتاكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقا وحدها جايعة الى ان تموت وكذلك هذه الصفات الخبيثة
يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان يبقا الا واحدة ثم تقع العناية
بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منها ومنع القوت من الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها
فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال
فاذا منع مقتضاه وهو بذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط
التعب فيه فاذن علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة افة البخل وفايدة الجود والعمل يرجع الى
البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافته واذا لم
يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فيبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان
استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل
في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله
الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه
او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خليعا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب
عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب
ولذلك اذا سرق كل واحد منه المت به مصيبته بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة
واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حكي
انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح بذلك فرحا شديدا فقال لبعض
الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق
صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان حمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما
وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان
الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع
طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين
والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى
يفنى ومن عرف افة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان
ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة
اذ لا يبخل بها احد لقناعة الناس منها بمقدار الحاجة

بيان مجموع الوظايف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها
الترياق ويأخذها الجاهل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس
وظايف الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا
قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية يراعي دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما
الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها
شوايب الرشوة وكالسوال الذي فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار الذي
يكتسبه ولا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعيار الحاجة والحاجة ملبس ومسكن
ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادناها واوسط واعلى وما دام مايلا الى جانب القلة ومقربا من حد
الضرورة كان محقا ويجاي في جملة المحقين يوم القيمة وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها
وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق
غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في
الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق
والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل
ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به
وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فليكن جميع حركاتك وسكناتك
لله مقصورا على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء
الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارت عبادة في حقك وكذلك ينبغي
ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية ولان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في
الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند
حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال
ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار
من المال وزعم انه يتشبه باغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف
فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها
فياخذها اقتداء به فيقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت
الدنيا بالحية وقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المسه لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى

بالبصيرة في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فحال الان يتشبه العامي بالعالم الكامل في
تناول المال بيان ذم الغنا ومدح الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على
الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن حقيقة الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب
ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية
فصل ذكره الحارث المحاسبي رحمه الله عليه في بعض كتبه في الرد على بعض العلما من الاغنيا
حيث احتج باغنيا الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وشبه نفسه بهم والحارث
المحاسبي حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار
العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على العلماء السوء بلغنا ان عيسى
عليه السلم قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون
فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم
دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلكم انتم تخرجون الحكم
من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا
تنقطع فيها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق
اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى
متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا
ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم
ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار كرام توشك
الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم
يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادا فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم على سوء
اعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض
الدنيا ورفعتها واثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون
او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم
وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنيا ولم يسلم له دينه وخسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اعظمها الا فراقبوا الله اخواني
ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون

لا تشتهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر
الصحابة ليعذرهم الناس علي جمع المال ولقد دساهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك
بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها علي لسانك لتهلك لانك متي زعمت ان خيار
الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة لقد اغتبت السادة ونسبتهم الي امر عظيم ومتي زعمت
ان جمع المال الحلال اعلي وافضل من تركه فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الي
قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الي الجهل
اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتي زعمت ان جمع المال الحلال اعلي من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلعم
لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد اغتبتهم بزعمك حين نهاهم
عن جمع المال كذبت ورب السماء علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا
وبهم رؤفا نعم ومتي زعمت ان جمع المال الحلال افضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده
حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله لم يعلم ان الفضل في الجمع
فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم
بموضع الفضل والخير من ربك تعالي الله عن جهلك ايها المغرور تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين
لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود بن عوف في القيمة
انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال ناس من
الصحابة رضي الله عنهم انا نخاف علي عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون علي عبد الرحمن
كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر رضي الله عنه فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحيي
عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتي دخل علي
عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتي انتهي الي دار
عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية
تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا
معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا
وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي
انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين
ثم قال يا ابا ذر وانت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن

اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال غير هذا فلم يرد عليه حرفا حتى خرج و بلغنا
ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عايشة رضي
الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قال صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها
فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين
يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها
معهم حبوا فقال عبد الرحمن العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاها احرار لعلي ادخلها
معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول من تدخل الجنة
من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد
الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنايع
المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين
وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب
لكل مفتون يتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت ويتكالب على اوساخ الناس وهو يتمتع بالشهوات
والزينة والمباهات ويتقلب في فتن الدنيا ثم يحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت
المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن
فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضايحك وفضل الصحابة ولعمري
لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا
وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها الا انهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم
بجميعها وفي الشدة اثروا الله تعالى على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم
وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين
وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء
حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم
ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها
وزهرتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب
عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان

اذا اصبح وعند عياله شيا اصبح كيئبا حزينا واذا لم يكن عندهم بشي اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان
الناس اذا لم يكن عندهم شي حزنوا واذا كان عندهم شي حزنوا واذا كان عندهم شي فرحوا ولست
كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شي فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة
واذا كان عند عيالي شي اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا
اذا اسلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها وكانهم على جناح
خوف واذا اسلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف
ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك
ايها المفتون ضد الاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرخ عند السراء وتغفل
عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء وتبغض الفقر وتانف
من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر
وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا
وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجئن يوم القيمة قوم يطلبون
حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت
نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال التكاثر والعلو والفخر
والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
وانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله عز وجل حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في
الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقاء الله والله تعالى للقائك اكره وانت في
غفلة وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من
عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا
بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه
وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب بفرحك في الدنيا
اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد نسيت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك
اضعاف ما تعنى بامور آخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاض دنياك نعم

وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها
للعلو وللرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين مساخط الله كيما تكرم وتعظم ويحك وكان احتقار
الله تعالى لك في العقبه اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا
تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة في الناس وكان
العبد اعلا عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف شطوق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك
انك متلوث في الاقدار تحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا
فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لاباس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا
للذلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم
ليتك اشفقت من سياتك كما اشفقوا علي حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك مثل افطارهم وليت
اجتهادك في العبادة مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني
عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن
كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة
في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او بعفو الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس
بالصحابة في جمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجد
في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع
سبعين بابا من الحلال مخافة ان يقع في باب من الحرام افتطمع نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب
الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن علي يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسببه
في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا
علي الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى واعظم
وافضل لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض
اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا
تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال
للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة
خافوا المسائلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في
طاعة الله عز وجل ولم تشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقام

يوم القيمه فيقول عندى من اين اكتسبت وفي اي شى انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في حدة الاسلام والحلال
موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت نفاية الامة والحلال
في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد
فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث
المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان تكون قلبك اتقا من قلوب الصحابة فلا تزول عن
شى من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني
لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلعم
انه قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه وسلم يوتا بالرجل يوم القيمه وقد جمع مالا من حلال
وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويوتا برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال
له قف لعلك اضررت في طلب هذا المال بشى مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في
شى من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقال لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع
شيا مما فرضت على فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شى من مركب او ثوب باهيت به فيقول
لا يا رب لم اختل ولم اباه في شى فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا
مما فرضت على ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجي اوليك فيخاصمونه
فيقولوا يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان قد اعطاهم
وما ضيع مع ذلك شيا من الفرايض ولم يختل في شى فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها
عليك من اكله او شربه او لقمه او لذة فلا يزال يسال ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسايله
التى كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام في الحقوق كلها وادى الفرايض بحدودها حتى
هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها
وزينتها ويحك لاجل هذه المسايله تخلف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا وتخاليطها ورضوا بالكفاف
منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء اسوة فان ابيت ذلك او زعمت انك بالغ في
الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شى من الحلال
الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ع ولم تسخط الله في شى من سرايرك وعلانيتك ويحك
فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك ان ترضى بالبلغه وتعتزل الفضول كى يعتزل ذوي

الاموال اذ وقفوا للسؤال وسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسايلة والحساب
فاما سلامه واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين
قبل اغنيايهم الجنه بخمس مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المومنين قبل اغنيايهم
الجنة يتمتعون وياكلون والآخرون جثاء على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم
فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني ان يكون لي حمر النعم
ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المحفين في
زمرة المسلمين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون
لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتى بشربة ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة
ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وهم ان يتكلم فعاد في البكاء فما زال يبكي فلما اكثر البكاء
قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه في
البيت احد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احد
فمن تخاطب قال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك
عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لم ينج مني من بعدك فاخاف ان يكون هذه لحقتني تقطعني عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهولاء الاخيار بكوا وجلا ان يقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من حلال ويحك انت في انواع التنعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع
انك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى
لتنظر الي اهوال جزعت منها الملايكه والانبياء ولين قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق
ولين اردت الكثرة لتصيرن الي حساب عسير ولين لم تقنع بالقليل لتصيرن الي وقوف طويل وصراخ
وعويل ولين رضيت باحوال المخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبكين
علي نعيم المتنعمين ولين خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين فتدبر
ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك في مثل احوال الخيار السلف تقنع بالقليل زاهد في الحلال
بذول للمال موثر علي نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر
والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن
الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها علي ما وافق رضوان الله ولن يوقف في
المسايلة ولا يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور

قد تدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكر والتذكار
والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسايلة وامن من روعات القيمة واجزل للثواب
واعلي لقدرك عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها والاخر
بذكر الله تعالي خالي القلب جامع الهم لكان الذاكر افضل وسيل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال للاعمال
البر قال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين سيل عن رجلين طلب احدهما الدنيا حلالا فاصابها
فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعد
والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بتركك الدنيا
علي من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم
لعيشك وارخي لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت تترك المال افضل من طلب المال لاعمال
البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل
في الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسا بنبيك
محمد صلى الله عليه وسلم اذ هداك الله به وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن
علي ثقة ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة الماوى فانه بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المومنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشا واذا استقرض
لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر علي ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا
عن ربه عز وجل فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا الايه اخي فمتى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل
تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة وللتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرم
تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا
بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال
مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج
بجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا فكانوا من ذلك من اورع الناس وازهدهم
في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع
المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد فاين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم
واحتياطهم واني لنا بمثل ضمايرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء باذوا النفوس واهوايها وعن قريب

يكون الورود بنا السعادة المحضة يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان
قبلتم والقابلين لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه رضي الله عنه وفيه
كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في
كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي ان
ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان
تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال
والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله لي ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت
عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجمع ويدع ما
سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمو الدود حتى ترك الجمعة
وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال
ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال
يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرايض الصدقة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا
فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما
فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا لا يجب عليك هذا وما
نريد اخذ هذا منك قال بلى خذوها فان نفسي بها طيبة وانما هي لنا خذوها فلما فرغا من صدقاتهما
رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا
حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يتكلما
ودعا السلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي وانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من
عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم

معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبه فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال
لا ام لك يا ثعلبه قد انزل الله تعالى فيك كذى فخرج ثعلبه حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان
يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابا ان يقبل منه شيا رجع الى
منزله فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها
وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة في خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشومه
وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنا اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر
لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم منزله وجاه فقال لي يا عمران ان لك عندنا منزله وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت
رسول الله فقلت نعم بابي وامي فقام وقمت معه حتى وقفنا بباب فاطمة فقرع الباب وقال
السلام عليكم ادخل قالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك
يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباء قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت
هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك
ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعه وزادني وجعا
على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني
ولكني اثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء
اهل الجنة فقالت فاين آسيه بنت مزاحم امراة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسيه سيدة نساء
عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت
من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا
في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمه وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اثرت الفقر
وتركت المال ومن راقب احوال الانبيا والاوليا واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك
في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي
من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله عز وجل اذ لا ذكر الا

مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فقال
اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي
رغيف فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري
قال فانطلق ومعه صاحبه فراي ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه وشوى
منه واكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال للرجل اسئلك بالذي
اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال ما ادري قال ثم انتهيا الى واد فاخذ عيسى بيد الرجل ومشيا
على الماء فلما جاوزا قال اسئلك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال
فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام فجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار
ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت
الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال
فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري
طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اصنع في هذا
الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقالا لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع
قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال
في المفازة وهم قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا
فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من
دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعاهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل
كما ترعى البهائم وقد قيض الله تعالى لهم في ذلك معايش من نبات الارض وارسل ذو القرنين الى
ملكهم فقال له اجب ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال له ارسلت
اليك لتاتيني فابيت فها انا قد جئت فقال له لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين
ما لي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم
الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منها شيئا الا تاقت نفسه
ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها فكنستموها
وصليتم عندها قالوا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم
الا البقل افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا

ان نجعل بطوننا قبوراً لها ورايناً في ساتا الارض بلاعنا وانما يكفي من آدم ادنا العيش من الطعام
وان ما جاوز الحنك من الطعام لم يجد له طعماً كاينا ما كان من الطعام ثم تبسط ملك تلك الارض بين
خلف ذي القرنين فتنا ول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك
من ملوك الارض اعطاه الله سلطاناً علي اهل الارض فغشم وظلم وعصا فلما راي الله عز وجل
ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول
جمجمة اخرى مالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله
بعده قد كان ترى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل
وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم اهوى
الى جمجمة ذا القرنين وقال وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت
صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا
المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان
الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا
ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف ذو القرنين

متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على
آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله اعلم
تم الكتاب بعون الله ومنه والصلوة والسلام
على خير خلقه محمد وآله وعترته الطاهرين وسلم
تسليما كثيرا دايما
م

م

ذم الجاه والريا

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كباير الذنوب العالم بما تجنه الضماير من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوايب الريا والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنيا عن الشرك والصلاة على محمد واله واصحابه المبراين من الخيانة والافك وسلم كثيرا وبعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الريا والشهوة الخفية والريا من الشهوات الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ولذلك عجز عن الوقوف على غوايله سماسرة العلما فضلا عن عامة العباد والاتقيا وهو من اواخر غوايل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلما والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح وطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثنا وبالغوا في البر والاكرام ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقايه ورغبوا في بركة دعايه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات وهو يظن ان حياته بالله وبعباداته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي يعمى عن دركها اولوا العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور

الاعمال وقد اثبت اسمه في ديوان المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم
منها الا الصديقون ودواء لا يرقا منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب
الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته
ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر
الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان
معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي
وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة
الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف
احوال الناس في الذم والمدح وهي اثنا عشر فصلا منها ينشا معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار
وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع
في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر الا من عصمه الله
ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب
امرئ من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى
صوركم ولكن الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن البصري الحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث
فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع
في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت
تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب ما صدق الله
عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة
وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة نفر قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من
عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه
عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن
قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم وقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون
ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث معه

قلوب الحمقا وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسا ان يبقي هذا من قلب

المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا

تعرف وتمشي ولا يمشا اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فتبعه ناس كثير فقال

لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت

ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي

قلابه اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير بذلك الى طلب الشهرة

وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا

وقال رجل لبشر بن الحرث اوصني قال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي

مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة

الاخرة رجل يحب ان يعرف بين الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن عازب وقال ابن مسعود قال

النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وقال اللهم اني اسالك الجنة

لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف

متضعف لو اقسم على ربه لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامرا لم يوذن

لهم واذا خطبوا النسا لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره

يوم القيمه على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم فساله دينارا لم يعطه

اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطه اياه وما

منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ

بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت صلى الله عليه وسلم يقول

ان اليسير من الريا شرك وان الله تعالى يحب الاتقيا الاخفيا الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا

لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبرا مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينه

وكان بها رجل صالح لا يوبه له لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هم في دعايهم اذ جاءهم رجل

عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت

علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينه

من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتنفوا فارفع عنهم فسكن واتبعت الرجل صاحب
الدعاء حتى عرفت منزله ثم بكرت اليه فخرج الي فقلت له اني اتيتك في حاجة قال ما هي قلت تخصني
بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسئلني ان اخصك بدعوة قلت ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت
الله فيما امرني ونهاني فسألته فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس
البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض
وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان اغبط اوليائي عندي مؤمن خفيف
الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع
ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه
وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجمعون يوم القيمة
الى عيسى بن مريم عليهما السلام وقال الفضيل بن عياض بلغني ان الله يقول في بعض ما يمن به على العبد
الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك
واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي
يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب خرق وعباء وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا
قط الا مرة بت في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد
وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك
ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة
وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه
هو منشأ كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء
فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله تعالى من غير
تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيها فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف
اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم
واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة

الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات
حياة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان
النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم
باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انما هلاك
الناس باتباع الهوى وحب الثنا

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا
الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان
الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء
الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف
فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه تكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك
يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من
اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك
الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في النفس بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد
ما ليس كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال
القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد
وطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه
اعظم لان المالك يملك العبيد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل من الطاعة وصاحب الجاه
يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه
فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت
الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب وبقدر
قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت
عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل
العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل
والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على
اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة
في بدن او شي مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محلها في القلوب فيكون سببا لقيام

الجاه بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة اعلم ان
السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبة هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا
بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار
وهو انك تعلم ان الدنانير والدراهم لا غرض في اعيانها اذ لا تصلح لمطعم ولا منكح ولا ملبس وانما هي
والحصباء بمثابة ولكنها محبوبة لانها وسيلة الي المحاب وذريعة الي قضاء الشهوات وكذلك الجاه لان
معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الي سائر الاغراض
فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة علي استسخارها يفيد قدرة على التوصل الانسان بها الي جميع الاغراض
فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من
المال وملك القلوب ترجيح علي ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الي المال ايسر من
التوصل بالمال الي الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال يسر له فان
اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقدت فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي
لا يتصف بصفة الكمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الي الجاه لم يتيسر له
فاذا الجاه آلة الي المال ومن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك
صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض لان يسرق او يغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه
الى الحفظ والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات
فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا تقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار
ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها
وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرق فيها نعم انما تغصب القلوب بالتضريب وتقبيح الحال
وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ويتيسر على محاوله فعله الثالث
ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الي تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص
واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسن لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده لغيره وتقتنص ذلك
القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار
اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الي واحد ويتزايد وليس له مرد
معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا
في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة

بالثناء استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه علي المال فاذا فصلت كثرت وجوه
الترجيح فان قلت فالاشكال قايم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر
الذي يتوصل به الي جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الي الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى
بمرض او عقوبة اذا كان لا يتوصل الي دفع العقوبة عن نفسه الا بمال وجاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل
ما لا يتوصل الي المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز
وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما
ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الي اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاها
ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمالهم او ليعينوه علي غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه
يتلذذ به غاية التلذذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فايدة فيه
لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي يدركه الكافة
والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبيا
وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون
فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال
فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الي غيره واذا خطر ذلك بباله
هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصاب هذا المال
جايحة فهو ابدا لشفقته علي نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان
تطرق الآفات الي الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب
بطايفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال ولذلك لم يكن لمثله
موقف الي ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم
العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده
فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اوليك عن اوطانهم الي بلده فيحتاج الى الاستعانة
بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه
في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني بذلك
وصفه الله عز وجل اذ قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم
المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك تعلم قبل معرفة ذلك ان

للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى
صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء
وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها وهو لما فيه من الامر الرباني يحب للربوبية بالطبع
ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس انها
موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم يكن منفردة بكمال معنى الشمسية
والمنفرد بالوجود هو الله سبحانه وتعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له
بذاته بل هو قايم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان
في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا
في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء
عنها وكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا فاذا معنى
الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال
بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس
يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية
التي اوما اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط
شهوتها الكمال وهي محبة للكمال ومشتهية له ومتلذذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود
فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما
الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون
وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع
لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء
بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان
ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير
في نفسه كذات الله جل جلاله وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك
والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال
والبحار والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات
ونفوس الملائكة بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها

قلوب الناس لانها قابلة التاثير والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى
ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر على التصرف فيه كذات الله والملائكة والسموات
فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء
اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم فالعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة
والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها
والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعه عجيبه الى معرفة طريق الصنعة فيها
كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب بها وانها كيف وضعت وكمن يرى صنعه
عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو يستشعر في نفسه نقصان العجز والقصور عنه
الا انه مشتاق الى معرفة كيفيتها فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو
الارضيات التي لا يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها
كيف يريده وهي قسمان اجساد وارواح اما الاجساد فالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا
عليها ليفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من
صفة الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه
وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة
حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم يعتقد كماله حتى يصير محبوبا
ويقوم متركه فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثالث نفوس الادميين وقلوبهم
وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت
اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تسخر بالحب ولا
يحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من صفات الالهية والصفات الالهية كلها
محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهذا الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط
عليه التراب فياكله لانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله عز وجل والساعي اليه فاذن معنى
الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال
وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والجاه والمال من اسباب
القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن
والنقصان لا يزول فلذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال

بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذاته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا
هو السبب في كون العلم والجاه والمال محبوبا وهو امر رباني في كونه محبوبا لا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات
فان هذه العلة تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض
بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضا طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات
لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان هو محبوبا
بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها **بيان الكمال الحقيقي والكمال**
الوهمي الذي لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة
ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها
من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان
اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما
فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان العلم اوضح وابين واصدق
واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد
الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير وكذلك مهما كان علم العبد متعلق
بمعلوم لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات
فمثال العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه
في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا له ويتصور ان ينقلب
المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال
جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد ما بينهما من
الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات
تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال
فليس فيها كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهو جواز
الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل
الواجب قط جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله سبحانه
وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله سبحانه وبصفاته وافعاله وحكمته في
ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق بذلك هو الكمال الحقيقي يقرب من يتصف به من

الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت نورهم يسعى بين أيديهم
وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة رأس مال توصل الى كشف ما لم ينكشف في
الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يكون ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه
فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج فلا مطمع له في
ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا
لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدى ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة له اصلا كمعرفة الشعر
وانساب العرب وغيرها ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه
والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في
القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس وتفيد في استعداد النفس لقبول
الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسايل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله
تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي في ذلك جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات
كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة
والحكم فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والرياء
ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم
حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب
ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل
وفي مواضع شتى من ربع المهلكات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة
فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه
وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للتوصل بها الى حقيقة
كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل بها الى المطعم
والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من
حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم هالكون في غمرة
هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى

وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كالا فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا
عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تع ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرنا
من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها
بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوات ولا يستهويهم الغضب فاذن دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس
من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان
عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال
ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير
نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات
فاذن الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم والحرية اعني به
عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال
الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار
القلوب والابدان ينقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب
من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال
القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي
اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه
هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تع حيث يقول انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح الآية فكل ما تذروه رياح الموت وهو زهرة الحيوة
الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه
كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال
الحقيقي **بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم** مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة
عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانها غرض من اغراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة
الآخرة فكلما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه الآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس
فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب

الطعام او المال الذي يتبلغ به الطعام وكذلك لا تخلو من الجاه الي خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان
يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب دفيقه من المحل ما يحسن به رفاقته ومعونته
ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس
بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم
فان الجاه وسيلة الي الاغراض كالمال ولا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الي ان لا يكون المال
والجاه في اعيانهما محبوبان بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت الماء لانه مضطر
لقضاء حاجته ويوده لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء وهذا على التحقيق
ليس بحب بيت الماء فكلما يراد به التوسل الي محبوب فالمحبوب المقصود المتوسل اليه وتدرك الفرقة
مثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام
ولو كفي مؤونة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور
وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول
فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل بهما الي مهمات البدن
غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق
والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الي اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب
محظور وما لم يتوصل الي اكتسابه بعبادة فان التوصل الي الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين
وذلك حرام واليه يرجع معنى الريا المحظور كما سيأتي فان قلت طلبه الجاه والمنزلة في قلب استاده وخادمه
ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح ذلك الي حد مخصوص وعلى
وجه مخصوص فاقول تطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منها مباح ووجه محظور اما الوجه المحظور
وهو ان تطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب
فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالفعل
واما المباح فهو ان تطلب المنزلة لصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلم اجعلني على
خزاين الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا الى ذلك
وكان صادقا فيه الثاني ان تطلب اخفا عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول
منزلته بهذا فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح
وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان

انه يشرب الخمر ولا يلتفت اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده
الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات ان يحسن الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده
فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف
يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال
من غير فرق كما لا يجوز ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او غيره ولا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير
وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح
النفس له وميل الطبع اليه وبغضه الذم ونفرته منه اعلم ان لحب المدح والتذاذ
القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب
وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر
نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا
فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل
القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعرها به لم يخل
حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء
عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال
علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في
هذه الامور فتطمئن نفسه اليها فاذا ذكرها غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال
فيعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا
يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة
الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر من مجازف في الكلام او لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعف
اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب
وهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح السبب
الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته
وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته
وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يوبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة
عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به

القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته له اعظم لان الغايات به اعظم السبب الثالث ان ثناء المثني
ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من سمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الي قوله ويعتد بثنائه وهذا
يختص بثناء يقع علي الملاء فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الي قوله كان المدح الذ
والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح يدل علي حشمة الممدوح واضطرار المادح الي اطلاق اللسان
بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل
وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الي ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا
جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب
الاربعة قد يجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بافتراقها اما العلة الاولى
وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي
او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال
وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلي لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله
ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه علي قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة
علي اضطرار لسانه الي النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات
كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح
وتالمها بسبب الذم وانما ذكرناه ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف
سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض بيان علاج حب الجاه اعلم ان من
غلب علي قلبه حب الجاه صار مقصور الهم علي مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا
يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الي ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر
لا محالة الي التساهل في العبادات والمراياة بها والي اقتحام المحظورات للتوصل الي اقتناص القلوب
ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما الدين بذئبين ضاريين وقال
انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب
المنزلة في قلوب الناس فيضطر الي النفاق معهم والي التظاهر بخصال حميدة هو خال منها وذلك عين
النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما
جبل علي حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه
وهو كمال القدرة علي اشخاص الناس وعلي قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فاخره الموت وليس

من الباقيات الصالحات بل لو يجد لك كل من علي بسيط الارض من المشرق الي المغرب فالي خمسين سنة
لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا
لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي
كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الي الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر
العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الي عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنهما اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره
كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم
تزل فهؤلاء التفاتهم الي العاقبة فكان عملهم لها بالتقوي اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا
الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة علي العاجلة لا يمتد نورها الي مشاهدة
العواقب ولذلك قال تعالي بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالي كلا بل تحبون العاجلة
ويذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان
يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء
وخائف علي الدوام علي جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر
في غليانه وهي مرددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى علي قلوب الخلق يضاهي ما يبنى علي امواج
البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء
كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوه بمخوفه فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا
ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلم يلتفت الي الدنيا فهذا هو العلاج
من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط
من اعين الخلق ويفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو
منهج الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه
وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا ينبغي له ان
يقدم علي محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض
الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما
نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا
حلالا في قدح لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر ويسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث

الفقه الان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقه مهما راوا صلاح قلوبهم في ذلك
ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل
حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا
انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل
في بيته في البلد الذي هو بها مشهور لا يخلو من حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما
يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس
عما اعتقدوا فيه ورموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار
عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس
ولا يبالي به وبذلك يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو
شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه الا ان يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا
احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه من الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال
فلا يبالي ان كان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه
لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع من الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع
الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا
يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة
الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم
وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريق المعالجة ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره
الذم اما السبب الاول وهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول
لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق
المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض
الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل
بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه ارتحالا فلا ينبغي ان تفرح بمدح المادح
بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع

فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفا وخطر الخاتمة
باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور
ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى
لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح
تابع له فلم ينبغ ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال منها
ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذي في
احشائه وما اطيب الرائحة التي تخرج منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار
والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك
وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح ان صدق فليكن فرحك
بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني
وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر وهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة
في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله تعالى وبان تعلم
ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح بذلك واما السبب
الثالث وهي الحشمة التي اضطر المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها
ولا يستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب لذلك كما نقل ذلك عن السلف لان
آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفة اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح
فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك
من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور
ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله لو كان صاحبك حاضرا
فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره
لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال لهم الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب
فلهذا كان الصحابة رضي الله عنهم على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور
حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب
وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعضهم لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا
وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة ان

يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق لكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله ببغض اليهم
مدح الخلق لان الممدوح علي الحقيقة هو المقرب عند الله تعالي والمذموم علي الحقيقة هو المبعد عن
الله تعالى الملقي في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالي من اهل النار فما اعظم جهله
اذ فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنايه عليه اذ ليس امره بيد
الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالي قل التفاته الي مدح الخلق وذمهم وسقط عن
قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه بيان علاج كراهية الذم قد سبق ان العلة
في كراهة الذم هي ضد العلة في حب المدح فعلاجها ايضا يفهم منها والقول الوجيز في ذلك ان من ذمك
لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا
ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد
بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى الصفة المهلكة لك
حتى تتقيها فينبغي ان تفرح بذلك وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما
اغتمامك بسببه وكراهيتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت
بقوله اذ ارشدك الي عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث
حرصك علي ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل
بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك
وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يجز رقبتك لتلويثك مجلسه
بالعذرة فقال لك قايل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله
غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدايه فينبغي ان يغتنمه
فاما قصد العدو التعنت فجناية منه علي دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول
انتفعت انت به وتضرر هو الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بري منه عند الله فينبغي لك ان لا تكره
ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك خلوت عن ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله
واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله تعالي اذ لم يطلعه علي عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بري
عنه الثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بري منه وطهرك عن
ذنوب انت ملوث بها فكل من اغتابك فقد اهدي اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك
فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من

الله تعالى واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى تسقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه
ويعرض لعقابه الاليم ولا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان ويقول اللهم
اهلكه بل ينبغي ان يقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقال اني اعلم اني ماجور
بسببه فلا ارضى ان يكون معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت
عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه
وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة
في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين ولا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض
الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا بيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم اعلم ان
للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من
الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في
هذا الباب والثانية ان يمتعض في الباطن من الذم ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته
ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة
الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي ذامه ومادحه فلا يغمه الذم
ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته
ومن علاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر ما يجده للمادح
وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حوائج الذام
وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري
له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما
يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام
على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب
واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه
العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام
قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما وانما استثقالك للذام من
الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي

اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا يسرع عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلوا
عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية
لا يختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يغضب ثم الشيطان
يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله تعالى بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله سبحانه ومن لم يطلع على مكايد
الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة
للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهدي اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهدي اليه حسناته
وقد قال صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان يكره ان يذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو
قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصايم وويل للقايم وويل لصاحب
الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واحب
المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهي ان يضمر الفرح والكراهة للذام
والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع
فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية لم نوف بها فانها لا بد ان تسارع الى اكرام المادح وقضاء
حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا يقدر على ان يسوي بينهما في الفعل
الظاهر كما لا يقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو
جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان فان الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين ولكل
واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهي ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء
وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستطلاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه
بالمناجات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام
الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد
وهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى في طلبها ولكن اذا مدح يسبق السرور الى
قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي
قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور الى نفسه بالتفكر في آفات المدح

وهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم ينعم ولكن لم يغتم
فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي
الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق في
ذلك لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق
وهو مفلس منه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب
وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه
ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح ممن
يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكائه
لما وقف عليه من عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع
في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم يتعب فيها فعسى ذلك
يكون خيرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة
وهي ان يستوي ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة
عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

وفيه بيان ذم الرياء
وبيان حقيقة الرياء وما يرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل
من الرياء وما لا يحبطه وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان
الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من
نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة
وبعدها وهي احد عشر فصولا

بيان ذم الرياء

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت
وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار **الآيات** فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد
ومكر اولئك هو يبور وقال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء ضده وقال تعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزلت فيمن يطلب الاجر والحمد بعبادته
واعماله **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال

الا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروي ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق
بماله والقاري لكتابه كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت
بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان
قاري فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبي
صلى الله عليه وسلم من رايا رايا الله به ومن سمع سمع الله به وفي اخر حديث طويل ان الله تعالى يقول
للملايكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد
باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراوون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزا وقال صلى الله
عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين
وقال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل يقول من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري
وانا اغنى الاغنيا عن الشرك وقال عيسى عليه السلم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته
ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صايم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه
فان الله تعالى يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار
ذرة من ريا وروي ان عمر لمعاذ وراه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الريا شرك وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة
الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الريا ودقايقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل
الا ظله رجل تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر
بسبعين ضعفا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك
وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يبكي فقلت ما يبكيك اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا حجرا ولكنهم
يراؤن باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها
اوتاد الارض فقالت الملايكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله سبحانه الحديد فقطع
الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الما فاطفى النار وامر الريح فكدرت الما فاختلفت
الملايكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله عز وجل لم اخلق شيا
هو اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهو اشد خلقا خلقته وروي عبد الله

بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فبكا معاذ حتي ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا معاذ قلت له لبيك يا رسول الله بابي وامي انت قال اني احدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان
انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالي يوم القيمه يا معاذ ان الله تعالي خلق سبعة
املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا
عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح الي حين يمسي له نور كنور الشمس حتي اذا
طلعت به الي السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبه
امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الي غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من عمل العبد
فتمر فتزكيه وتكثره حتي يبلغ به الي السماء الثانيه فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانيه قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض من الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الي غيري
انه كان يفتخر علي الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة
قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الي السماء الثالثه فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الي غيري انه كان يتكبر علي الناس في مجالسهم
قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتي
يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب
العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الي غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد حتي يجاوزوا به الي السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الي اهلها فيقول لهم
الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه علي عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد
الناس من يتعلم بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا
ادع عمله يجاوزني الي غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزن
به الي السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان
لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الي غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الي السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد
وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة الاف ملك فيجاوزون به الي السماء السابعة فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا علي قلبه اني احجب عن

زني كل عمل لم يرد به وجه زني انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا
في المداين امرني زني ان لا ادع عمله يجاوزني الي غيري كل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله
عمل المرائي قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وحسن خلق وصمت
وذكر لله وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الي الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون
له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله عز وجل لهم انتم الحفظة علي عمل عبدي وانا الرقيب علي نفسه
انه لم يردني بهذا العمل واراد بهذا العمل غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا
رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ علي لسانك من
الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع
نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك
ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم علي الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب
النار يوم القيمة في النار قال الله تعالي والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي
انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي من يطيق هذه الخصال ومن
ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير علي من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة القرآن من معاذ للحذر مما في
هذا الحديث اما الآثار فيروي ان عمر رضي الله عنه راي رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب
الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وراي ابو امامة رجلا في المسجد
يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل
اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة
بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله تعالي ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث
مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله سبحانه يقول انا اغني الاغنياء عن الشرك الحديث
وسال رجل سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان تمقت قال
لا قال فاذا عملت لله تعالى عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقول هذا
لله وللرحم فان الله تعالي لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك
فقال عمر له ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله
وحده قال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها

لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما
يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر
يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراوون بما يعملون وصاروا
اليوم يراوون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان
النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس
هو صالح فكيف يقولون ذلك وقد حل من ربه محل الاردياء فلابد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة
اذا راءى العبد يقول الله سبحانه انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء
الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر
الى مرائي فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر الظلمة بالليل فانه اشرف من سمتك
بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على
العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت ويرائي وهو بخراسان قيل وكيف ذلك
قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان حقيقة
الرياء وما يراءى به** اعلم ان الرياء مشتق من الروية والسمعة مشتقة من السماع واصل الرياء
طلب المنزلة في قلوب الناس باراءتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلوب باعمال سوى
العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات
واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله عز وجل فالمرائي هو العابد والمراءى هم الناس المطلوب
رويتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد
اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهي البدن
والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراوون بهذه الاسباب
الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات
الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد
وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل
وكثرة الحزن في الدنيا وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل بذلك على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ
لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم
بها ولذلك يدعوا النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة

العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض
من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلم اذا صام احدكم فليدهن
راسه ويرجل الشعر ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان
بالريا ، ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مرايات اهل الدين بالبدن فاما اهل
الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ولطافة البدن وقوة
الاعضاء وتناسبها الثاني الريا بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب
واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف
وتشميرها الى قريب من نصف الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثياب وتركها مخرقا كل ذلك يرائي به
ليظهر من نفسه انه متبع للسنة في ذلك ومقتد بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقع والصلاة
على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبيها بالصوفية مع الافلاس من حقايق التصوف في الباطن
ومن ذلك التقنع بالازار فوق العمامة ليرى انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه
الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه وهو خال من العلم ليوهم
انه من اهل العلم والمراؤن بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار
الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بقصرها وغلظها ووسخها وتخرقها
ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسون مثله لكان عنده بمنزلة الذبح
وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له في الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة
اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار فلو لبسوا الثياب
الفاخرة ازدرتهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة المتبذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون
الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الرفيعة والاكسية الرقيقة والمرقعات
المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها وقيمة ثيابهم قيمة ثياب الاغنياء والوانها وهيئتها الوان
ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان
عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ، ولو كلفوا الدبيقي والكتان الدقيق
الابيض والقصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من ان يقول
اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم رات منزلتها في زي مخصوص فيثقل عليها
الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب

النفيسة والمراكب الرفيعه وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيوت وفره الخيل
والثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب
الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الحال ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول
فرياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة
اظهار الغزارة للعلم ودلالة على شدة العناية باقوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر
في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحضر الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار
الاسف على مقارفة المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل
بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان
خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل
في ذلك والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه
لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات
وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع
الرياء بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك
الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو
والحج وبالصدقة واطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس
الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه احد من اهل
الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب عنه
رجع الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون مجدد الخشوع لله
بل ذلك لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا
استحيى من ان يخالف مشيه في الخلوة مشيه بمراى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة
في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغير ويظن انه تخلص بذلك من الرياء وقد تضاعف
رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا لانه انما حسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا
لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب
الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراياة
بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد

زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك
او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى
انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم ويباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته يترشح منه عند مخاصمته
فيقول لغيره ومن لقيت انت من الشيوخ وانا لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ
وما يجري مجرى هذا فهذه مجامع ما يرايي به المراؤن وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد
ومنهم من يقنع بحسن الاعتقاد فيه فكم من راهب انزوا الي ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الي
قلة جبل مدة مديدة وانما حياته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه
الي جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم تقنع بعلم الله براءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى
بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ
كما ذكرناه في اسبابه لانه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا
الجاهل ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق
الالسن بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد ليكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد
الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج علي يديه ليقوم له بذلك جاه عند العامة
ومنهم من يقصد التوصل بذلك الي جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير
ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة
الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل
فان الرياء هو طلب الجاه وذلك اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات
فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات
واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود
فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلم حيث قال
اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي
وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد ففتنة الجاه اعظم من فتنة المال
وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام ولا نقول تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حمله كثرة المال وكثرة
الجاه علي مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الي سعة الجاه مبدا الشرور كانصراف الهم الي كثرة
المال ولا يقدر محب المال والجاه علي ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير

حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال ولا ضرر فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في
الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس
مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس هو رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل من تجمل للناس وتزين
لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج على الصحابة
فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت عائشة اوتفعل هذا يا رسول الله قال نعم
ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا
في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق
تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به
ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا
مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استقذروه واستثقلوه
لم يانسوا به فاذن المراياة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة
وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض
العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراياة وليست بحرام وكذلك امثال هذا اما
العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيها حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا
الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة
ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل نقول انه يعصي بذلك ويأثم لما دلت
عليه الاخبار والآثار والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم
انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين
جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب
بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله تعالى
ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله سبحانه انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله مثال من تمثل
بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك
او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بها عبدا من عبيده

فاي استخفاف يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراياة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا
وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله عز وجل وانه اولى بالتقرب اليه من
الله تبارك وتعالى اذ اثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته فاي استهزاء يزيد على رفع العبد
فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم
بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه من اثم غليظ او خفيف
بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان في ذلك كفاية في الخزي
فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان
الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان
الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك
قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم
لله ففي هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان اوهم
عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر ما يملكه الله تعالى
فلذلك عدل بوجهه عن الله سبحانه اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى
اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم
لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا
تقول الانبياء فيه كل منهم نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل بثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى
ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس ولا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله تعالى
في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر واما اذا قصد الاجر والحمد
جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الخفي الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص
ويدل ما نقلناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت ان لا اجر له اصلا بيان
درجات الرياء اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف
اركانه وتفاوت الدرجات واركانه ثلاثة المرايا به والمرايا لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول
نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة
الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا
لارادة العباد فتكون الدرجات اربعة الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب

اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس
فهذا جرد قصده الى الريا فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة
الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذا في الدرجة العليا من الريا الثانية
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله
ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الريا يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من
شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الثالثة ان يكون قصد الثواب
وقصد الريا متساويان بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت
الرغبة او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان
يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل
على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا
لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الريا وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله
انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الريا ويثاب على مقدار
قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان
قصد الريا الركن الثاني المرايا به وهي الطاعات وذلك ينقسم الى الريا باصول العبادات والى
الريا باوصافها القسم الاول وهو الاغلظ الريا بالاصول وهو على ثلاث درجات الاولى الريا
باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الريا وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه
مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى
كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى
واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الآية وقال تعالى
يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام
ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن
الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام
ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين

في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين
كفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا
عظيم عند الله ولكنه دون الاول ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا
من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة
في الخلوة وكذلك الصوم يصوم شهر رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة
ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او يغزو
او يحج لذلك فهو مرائي معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا يتصور سواه ولو كلف ان يعبد غير الله تعالى
او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات الكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته
عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله
ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما احذر صاحبه بالمقت
وان كان غير منسل من اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض
ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لم يكن عاصيا ولكنه يكسل عنهما عند الخلوة لفتور
رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل علي ما يرجوا من الثواب ثم يبعثه الرياء علي فعلها وذلك
كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المرضى واتباع الجنائز وغسل الموتى وكالتهجد بالليل
وصيام عرفة وعاشورا ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة وطلبا
للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد علي اداء الفرايض وهذا ايضا عظيم لكنه دون ما
قبله فان الذي قبله اثر حمد الناس علي حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقاء ذم الخلق دون
ذم الخالق وكان ذم الخلق عنده اعظم من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا
علي ترك النافلة لو تركها فكانه علي الشطر الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات
القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو ايضا علي ثلاث درجات الدرجة الاولى
ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان بالعبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود وترك الالتفات
ومد القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهي استهانة يستهين بها ربه عز وجل
اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلاة ومن جلس بين
يدي انسان متربعا او متكيا ودخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام علي
السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملاء دون الخلوة وكذلك

الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد
خوفا من مذمته وكذلك الصايم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لاجل العبادة الصوم وهذا ايضا
من الريا المحظور لان فيه تقديم الخلق على الخالق ولكنه دون الريا باصول التطوعات فان قال
المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة
الالتفات اطلقوا الالسن بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له
هذه مكيدة من الشيطان وتلبيس ولبس كذلك فان ضررك في نقصان صلاتك وهي خدمتك
لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك اكثر وما انت
في هذه الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها اياه فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة
مقطوعة الاطراف ولا يبالي بذلك اذا كان الملك وحده فاذا كان عنده بعض غلمانه امتنع من ادخالها
عليه خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من راعى جانب غلام الملك فسبيله ان يكون مراقبته للملك
اكثر نعم للمرائي في ذلك حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام
قطعا الثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي
عند الله تعالى ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم واستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو
على ذلك ثوابا وهو خير من ان اترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب ويحصل المذمة وهذا فيه
ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يبق يحضره النية فينبغي ان يستمر
على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة
الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل
في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى
وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السور المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان
وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك
مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه الدرجة الثالثة يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل
ايضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصد الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه
وكل ذلك مما يعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي ان وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه
درجات الريا بالاضافة الى ما يرائي به وبعضها اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث
المراءى لاجله فان للمرائي مقصود لا محالة وانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة

وله ايضا ثلاث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية
كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع وكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان
يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكاة
والزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه
الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بهم
الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل
الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير
وحلق القراء ويظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج
الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا
طاعة ربهم عز وجل سلما الى معصيته سبحانه وتعالى واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من
هؤلاء وان كان دونهم من هو متهم بجريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى
لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف
يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى
الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي
يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد
اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم او عابد
فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا
ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال
او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص فلا يعد من الخاصة والزهاد
ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مسرعا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال
انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك قد يسبق الى الضحك ويبدر منه المزاح فيخاف ان
ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما
اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف
ان ينظر اليه الا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون او يصومون الاثنين
والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

لا يفعل شيا من ذلك وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من
ان يعلم الناس انه غير صايم فاذا ظنوا به الصوم امتنع من الاكل لاجل ظنهم او يدعى الى طعام فيمتنع
ليظن انه صايم وقد لا يصرح باني صايم لكن يقول لي عذر وقد جمع بين خبثين لانه يرى انه صايم ثم يرى
انه صايم ثم يرى انه مخلص ليس بمرايي فانه يحترز من ان يذكر عبادته الناس فيكون مرايا فيريد ان
يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا
بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا
يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر ريا ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية
عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة بان ياكل الانسان من طعامه وقد الح
علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن
اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات الريا فلا يسبق الى
اللسان الا لرسوخ عرق الريا في الباطن واما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له
الرغبة في الصوم فقد علم الله تعالى ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله تعالى فيكون
ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره
اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفي ذلك مكيدة وغرور سياتي شرح ذلك وشروطه
فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرايين وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهو من
اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوايب هي اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل
فيه فحول العلما فضلا عن العباد الجهلة بافات النفوس وغوايل القلوب بيان الريا
الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل اعلم ان الريا جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على
العمل ويحمل عليه لا بقصد الثواب وهو اجلاه واخفا منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه
يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل
عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجا الثواب لكان لا يصلي بمجرد ريا الضيفان
واخفا من ذلك ما لا يوثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن
في القلب ومهما لم يوثر في الدعا الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته
ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتم
العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا

السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع
الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور
ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهة صار ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء
حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضا تقاضيا خفيا ان يتكلف شيئا يطلع عليه بالتعريض والقاء
الكلام عرضا وان كان لايدعوا الى التصريح وقد يخفى فلا يدعوا الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا لكن
بالشمايل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق واثار الدموع
وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور
طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبدوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان
يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوايجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له المكان فان قصر
في ذلك مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه يتقاضى الاحترام على الطاعة
التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس
في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة وعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن مكتفيا بعلم الله
ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر
ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة
الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوايج وفي الحديث لا اجر
لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال
لاصحابه انا فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا
من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان
دينه وان سال الحاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان
دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال
السايح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت
وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال
كيف انت قال كالناس وفي رواية انه قال بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه
فقال السايح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خايفين من الرياء الخفي
يجتهدون في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة ويحرصون على اخفايها اعظم مما يحرص غيرهم

على اخفاء نوافلهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله تعالى في القيمة باخلاصهم على ملا
من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة
وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد
نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله عز وجل اذا توجهوا الى مكة حرسها الله فانهم يستصحبون
مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان اصحاب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد
في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فهكذا شاهد
ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزود به من التقوى فاذن شوائب الرياء كثيرة لا تنحصر ومهما
ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما
قطع طمعه من البهائم لم يبال حضرت البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا
ولو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء
لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ولا نقصان عقاب كما لا يقدر على ذلك البهائم
والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا
للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم
كله او بعضه محمود فيقول اولا ليس كل سرور مذموم بل السرور ينقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود
فاربعة الاول ان قصده يكون اخفى الطاعة والاخلاص لله تعالى ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان
الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل بذلك على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه
فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح
واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح بذلك الثاني ان يستدل باظهار
الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة
المستقبل وهذا التفات الى المستقبل الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في
طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب
السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب السرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح

بطاعتهم لله في محبتهم ومحبتهم للمطيع ومليل قلوبهم الي الطاعة اذ من اهل الايمان من يري اهل الطاعة فيمقتهم
ويحسدهم او يذمهم ويهزا بهم وينسبهم الي الريا ، ولا يحمدهم على ذلك فهذا فرح يحسن ايمان عباد الله وعلامة
الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم وهو الخامس وهو
ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويتوموا بقضا حوايجه ويقابلوه
بالاكرام في مصادره وموارده ، بيان ما يحبط العمل من الريا الخفي والجلي وما لا يحبط
فنقول اذا اعتقد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الريا ، فلا يخلوا اما ان يرد عليه بعد فراغه من العمل
او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بظهور العمل من غير قصد اظهاره فهذا لا يحبط العمل اذ
العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما من الريا ، فما يطرا بعد تمامه فترجوا ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما
اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله عز وجل
ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد ريا ،
ولكن ظهرت له بعد تمامه رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره وهذا مخوف وفي الاخبار والآثار
ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرات البارحة البقرة قال ذلك حظه
منها ليس حظه الا ما احب من الحمد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال الصمت لكم
يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال له ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة
صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مسعود استدلالا
على ان قلبه وقت العبادة لم يخل عن عقد الريا ، وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون
ما يطرا بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب
على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الي الريا قبل الفراغ من الصلاة وحبط
العمل واما اذا ورد وارد الريا ، قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد
في اثنايها وارد الريا ، فلا يخلوا اما ان يكون مجرد سرور لا يوثر في العمل واما ان يكون ريا باعثا فان
كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثال ذلك ان يكون في تطوع فتجددت نظارة
او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او تذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا
الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان
في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعا اذا طاب اخره طاب اوله اي النظر الي الخاتمة
وروي من رايا بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على

الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منها منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج
قبل الصلوة فاما اذا كان وارد الريا بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كالو حضر جماعة
في اثناء صلوته ففرح لحضورهم واعتقد الريا وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم ولو لا حضورهم
لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس
لقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة معدوما وهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما
مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ
ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد
الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله الى الاحباط
في امر هو اهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب
المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول
وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط
وان لم يتزيد في العمل ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط
اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن انما هما سورتان فاذا كانت الاولى لله لم يضره
الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان
يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر
فقال اما الحسن فاراد بقوله لا تضره اي لا تدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد
الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه
احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد
ان يسر به لاقتداء الناس به او سرورا اخر محمودا مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة
بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الا ان السرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه وكيف
يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي هذا الحديث يرويه غير متصل
الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء
اولى هذا لما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر
اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل
لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار

التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا
كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط
بالكلية ثواب الصدقة وساير الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي
اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله تعالى والخالص لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا
الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الان فلنرجع
اليه فهذا حكم الرياء الطاري بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ القسم الثالث
الذي يقارن حال العقد بان يبتدي الصلاة على قصد الرياء فان تم عليه حتى يسلم فلا خلاف
في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه
ثلثة اوجه فقالت فرقة لم ينعقد صلاته مع قصد الرياء ويستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال
كالركوع والسجود ويفسد افعاله دون تحرم الصلاة لان التحرم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج
التحرم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص
والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك
بثوب ابيض تلطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة
والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض من الرياء ثم زال
بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الاخرين
خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان
الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زايدة في الصلاة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول
لو ختم بالاخلاص صحت صلاته نظرا الى الاخر وهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى
الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال
ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب والامتثال الامر لم ينعقد الافتتاح
ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل واذا راى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان
ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين
وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له رغبة
في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم
او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث

الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح
وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلاة تقبل الفساد فتطرق
خلل الى النية فلا يخلوا اما ان يكون نفلا او فرضا فان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من
وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان فلا يمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتداء به
باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا
اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا نقول لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد
جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء
به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما
لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا
في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم
يكن باعث الفرض لانشاء صلاة تطوع لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال
ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال
الامر باعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة
فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع بامتثال الصلاة ومسقط للفرض عن
نفسه ويعارض الاحتمالات في تعارض البواعث في اصل الصلاة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون
اصل الصلاة مثل من بادر بالصلاة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض
لكان لا يبتدي صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض عنه لان باعث اصل الصلاة
من حيث انها صلاة فلم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت وهذا ابعد عن القدح في النية هذا في
رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في
العمل فيبعد ان يفسد الصلاة وهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان
الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى
فتاوى الفقهاء من صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص
على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والله اعلم بيان دواء الرياء
وطريق معالجة القلب فيه قد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من
كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق

فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف
العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليهم
حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في
قلبه ورسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى
هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه
والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قلع عروقه واستيصال اصوله واصله حب
المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهي حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس
ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعنى حمية انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل
يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد
باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن
مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل
للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ
دفتي راحلته ورقا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من غزا لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وهذه اشارة الى
الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكنه يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون
بالمال الكثير فيتصدق هو بالقليل كيلا يبخل وليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان
لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من
الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا
يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك
السؤال عن علم وهو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به
جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في
الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول
وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في
المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة فيه كمن يعلم ان العسل
لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه وكذلك قطع طريق هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة